
القديس والكنز المفقود
مجلة الابتسامة
ahmad2006771
www.ibtesamah.com/vb
حصريات مجلة الإبتسامة

القديس والكنز المفقود

تأليف : ليسلى تشارتريس

ترجمة : عبد المنعم حسن

الفصل الأول

كان ميدان تايمز يعج بالمخلوقات البشرية التى تسعى على جوانبه وسط العالم الالى الذى يحيط بهم ، ويكاد يسحقهم ممثلا فى رتلين من السيارات المتلاصقة ، التى جمدت حركة المشاة الذين يتدفقون على الميدان ، ويشغلون أفاريزه ، حتى اذا ما أضاءت الاشارة الحمراء ، توقفت السيارات وتحركت جموع المشاة المتراصة ... وهكذا ، دواليك ، تمضى الضجة المنظمة التى تختلط فيها ضوضاء البشر وزئير الوحوش الميكانيكية .

وكان الجمال ممثلا فى هذه الحشد ، حيث اشرقت الحسان بوجوههن وسط الزحام ، وسارت فتاتان تتسكعان بمجون جنبا الى جنب ، احداهما صغيرة الوجه ، تكاد تتجرد من الجاذبية ، ولكن انفها القبيح ، وعينيها الجسورتين المجسمتين خلف النظارة الكثيفة ، اضفيا عليها مظهرا ممتعا ، كما كان زيها مضحكا ، اذ كانت ترتدى قميصا مربع الرسوم متعدد الالوان ، وجوبا زائد الطول مما يوحى بانها قريبة العهد بالمدرسة .

وعلى نقيضها ، كانت زميلتها تمثل الانوثة الصارخة : ممشوقة القوام ، جذابة الملامح ، بادية الذكاء ، فاحمة الشعر بلون الابنوس نافذة البصر ، يبدو عليها التردد والاستسلام لمشاعرها ، والتأنيب الذاتى على دوافع

اغرائها ، وعلى ثقتها ، مما يجعلها تضع حاجزا امـــام القادرين على معاونتها .

قالت لها صديقتها :

- كم انا مبتهجة من اجلك ، فالحظ حليفك يا فيكى !

- سيحل دورك حتما يا مابل .

وشدت على ذراع الصبية ذات النظـــارة ، التى مطت شفتيها استياء وقالت :

- أوه ، انا اعرف ان الحظ لا يبتسم لى كثيرا فى هــذه الحياة ، ويجب ان يعرف الانسان حقيقة نفسه ، فاذا كان قبيح الخلقة ، فسيأتى اليوم الذى يقبل عليه شــاب ليرى هذا القبح عن قرب .

وتحركت تلك التى نادتها باسم فيـــكى دون اكتراث بالنــاس الذين يدفعونها ، واقتربت من واجهــة احــد المحــال ، وتطلعت فى المرآة لمــا تعكســه من حــركة المرور حولها ، وكشرت وجههـــا ثم ما لبثت ان ابتسمت قائلة :

- ليس من المستحب دائما ان يتبع الفتـــاة شــاب يا مابل ، حتى ولو كان شابا مليحا ..

فتأملتها رفيقتها من خلف نظارتها ، وضحكت بابتهــاج وقــالت :

- ان فى حياتك مغامرة يا فيكى ..

- بل قولى اننى اتساءل عما اذا كانت هناك مغـــامرة حقـــا ..

وجذبتها ، وعاودتا المشى بين زحام المارة الذى ازداد ، اذ حل موعد الغداء ، وقالت :

ـ يداخلنى الشـعور بأننى موضـع رقـابة ، او تجسس ..

ـ لا غرابة فى ذلك فأنت جميلة يا فيكى .

ـ ليس الامر هكذا ، فلو ان هنـاك من أعجب بى ، ورنت فى نظـره لدبـر الامر لمقـابلتى ، ولكن لا شىء من هذا ! ان الأمر لا يتعدى مجرد شك ، وليس اليقين .

وتضاعف ضحك مابل وهى تقول :

ـ ومع ذلك فلابد ان هذه ليست هى المرة الاولى التى يتعقبك فيها الشبان ، فهم لحوحون !

وبلغ من قهقهتها ان شابا جميلا التفت خلفه ، وحـدق فيهما ، وصفر بين أسنانه ، فهزت كتفيها وقالت :

هذا هو كل ما يستطيعون فعله ، على الاقل بالنسـبة لى ، اما انت يا فيكى فقد عرفت العزل منذ سن الخامسة عشرة .

ولكن الفتاة لم تفلح فى ادخال السرور على رفيقتها ،

فقد كانت فيكى تتابع السير مقطبة الجبين مستغرقة فى التفكير ، حتى اذا ما وصلتا الى وكالة للسياحة ، تنهدت وقـالت :

ـاننى جادة يا مابل .. فهناك اشياء تضايقنى ..

وخفضت صوتها وتابعت الحديث :

ـ بل انها تقلقنى ، حتى اننى اسأل نفسى عما اذا كانت على صواب فى قيامى بهذه الرحلة ٠

فصاحت بها مابل وهى تدفع باب الوكالة :

ـ هل اصابك مس ؟

وتوقف رجل على الرصيف المقابل ، واستند الى احد أعمدة المصابيح بعدم اكثرات ، واشعل سيجارة موضوعة فى مبسم من العاج الاصفر ، وكانت قبعته المائلة على جبهته تخفى جزءا من وجهه ٠ ولم يعره احد اى اهتمام ، ولم يلتفت احد الى قامته الطويلة ، ووجهه الشاحب ، وعينيه الزرقاوين بلون الصلب ، وشعره الذى اختلط لونه الاشقر بالشيب ٠

وكانت فيكى وصديقتها قد دخلتا الى الوكالة ، وفى اللحظة التى همت فيها بسؤال احد الموظفين ، التفتت خلفها ، وجالت ببصرها فى الشارع ، حيث برا كل شىء هادئا ، وهزت كتفيها ، وتمتمت لمابل :

ـ يا للغرابة ! ان الشعور بأننى مراقبة يرجع الى اول زيارة لى بهذا المكتب ، عندما حضرت للاستعلام بشأن رحلة الى اوربا ٠

ـ وهل اثر فيك ذلك ؟

ثم وضعت يدها فجأة على ذراع صديقتها وقالت :

ـ لقد خمنت ! عندما حجزت محلك ، لم تنتهى الى

وجود شخص هام هنا مثقل بالذهب ، مهراجا ، أو احد احفاد روكفلر .. اما هو فقد لفت نظره الانسة فيكى كينيان ، فهام بها ولم يعد يفكر الا فى شىء واحد : هو السفر برفقتها ، اننى اغبطك ! فلن ارفض مثل هذه الفرصة .. اه لو عدت من اوروبا متزوجة !

ولكن فيكى ظلت متجهمة ، فلم تنفرج اساريرها ، وظل تفكيرها مركزا على ما يدور حولها ، واعترفت دون خجل :

- اننى لا افكر فى الزواج الان يا مابل .. كونى على ثقة من ذلك ..

- لحسن الحظ ! ان الشبان الملاح هم الذين يفكرون فيه . وانت فى حيرة من الاختيار ..

وهزت فيكى كتفيها الجميلين ، واتجهت الى المكتب الدائرى ، ووقف احد الموظفين واستقبلها بابتسامة تجارية عريضة وقال مرحبا :

- كنت أنتظرك يا مس كينيان .. وكل شىء معد ..

واخرج مظروفا يحتوى على تذكرة سفر بالطائرة، والاوراق الملحقة بها ، ثم اضاف :

- ستتمتعين برحلة جميلة - فسيظل الطقس بديعا فوق الاطلنطيق لعدة ايام .. ستنامين ملء جفنيك ، وعندما تفتحين عينيك سترين أوربا العتيقة .

وتفقدت فيكى الاوراق ، وانحنت مابل ودست انفسا بشكل مضحك قائلة :

- خبرينى : هل تنوين البقاء هنا انتظارا لتلك الذئاب الأوروبية لتبحر فى أثرك ، لو كان عندك فائض ، فأعطـه لى ..

- دعينى من هذا الهزر يا حمقاء !

وخرجتا وانفرجت أسارير فيكى فجأة ، وكأنما قررت ان تضحك من مخاوفها ، ولعلها كانت تقع مغشيا عليهـا لو انهـا راقبت ما حـدث بعـد لحظـات فى نفس وكالة السياحة . فقد دفع بابها رجل طويل القامة ، يحنى قبعته على جبينه ، واقترب من الموظف لذى كان يرتب أوراقه، ولمس أطراف قبعته وسأل فى عدم اكتراث :

- ارجو ان تـكون الانسـة كينيان قـد حصـلت على تذكرتهـا ؟

فرفع الموظف رأسه وتمتم :

- معذرة يا سيدى ، ولكن ..

- لا داعى يا صبى لهذه المقدمات فقد لمحت الانسـة كينيان عند خروجها ، وانا احـد اصدقائها القـدامى ، ونريد اصطحابها الى المطـار باحتفال كبير ..

فقال الموظف مترددا :

- غير معقول !

- سأصارحك بالواقع ، فان الرحلة تخيفها قليلا ، فاذا رأتنا نصل سـاعة الاقـلاع حاملين الزهـور ، وبعض

الذكريات ، والحلوى ، فستحل بها الدهشة ، والبهجة .. هـل فهمت ؟

- نعـم يا سـيدى ..

وانحنى على جدول امامه وقال :

- ستسافر على الطائرة التابعـة لشركة الطـيران فقال الزائر : - فى الطريق الى البرتغـال : يا لهـا من محظوظة ، لو كان باستطاعتى ان افعل مثلها .. شكرا ايها الشاب .. والى اللقاء قريبا ..

وخرج قاصدا أقرب صيدلية ، ودخـل الى كابينـة التليفون ، وراجع دليل المشتركين ، وادار القرص ، ولم يعبر وجهه القاسى عن أى شـعور .. واجاب صـوت نسائى على الطرف الاخر :

هنا شركة الطيران العالمية ..

ولم يبد المجهول أى ابتسامة وقال :

- احجزى لى مكانا على الطائرة المسافرة فى الرحـلة الجوية رقم ٦٢٤ يوم السبت الى لشبونة .. وسـأحضر لدفع الثمن ..

- حسنا يا سيدى .. باسم من ؟

- كورت جيجر ..

واعاد السماعة ببرود ، وخرج بتؤدة .. وهو يفـكر فى العناصر التى يمسك بها : فلن تفلت منه فيكى كينيان ، واشعل سيجارة واتجه الى احد المطاعم .

ولم تبطل حركته خلال تناوله الطعام ، فــراح يقلب أوراقا ، ومذكرات ، مقطبا جبينه من آن لاخر ، دلالة على شدة انشغاله ، وحرصه على ألا يضيع منه أى تفصيل . وكانت المعلومات التى جمعها عن الفتاة ، من هنا وهناك ، تدله على نشاطها ، ويقظتها ، وعدم استسلامها مما يستوجب حرصه على ألا يرتكب خطأ ..

وكما فعل ذلك الجاسوس ، قصدت فيكى ومابل الى مطعم ، ولكنه من نوع الكافتيريا ، وحملت كل منهما طبقا ، واختارتا البوفتيك مع الكوكاكولا وضجت مابل بالضحك كالاطفال وهى تقول :

- حذار يا فيكى ان تسرفى فى شرب النبيذ الفرنسى ، اذ يبدو انه يذهب بالعقل .. فلا تدرى الفتاة ما تفعله ، ثم اذا بها تحمل طفلا !!

فأجابت صديقتها محتجة :

- هذا ما لن يحدث لى ، هذا الى اننى ذاهبة الى البرتغال ، لا الى فرنسا ..

- مهلا .. ولا تغضبى ، وبصراحة : ما الذى يجبرك على الرحيل ؟ انك تمنحين نفسك رحلة ممتعة ، ثم يبدو انك تندمين عليها .. وانت متناقضة مع نفسك .. وسيفلس بنكك الشيطانى بدونك هل فكرت فى ذلك ؟

وكانتا جلوسا فى مواجهة بعضهما على مائدة صغيرة ، ومدت فيكى يدها عبر زجاجها ودقت على ذراع صديقتها قائلة :

- كنت بحاجة الى التغيير ، وكان على ان اقوم بهذه الرحلة بأى ثمن ، ولم يكن بوسعى ان انتظر اكثر من ذلك ..

ثم اضافت بصوت خافت :

- ولقد عاش ابى طويلا فى اوروبا خلال الحرب الاخيرة ..

فسألتها مابل بدهشة : - فى لشبونة ؟

- وفى غيرها ايضا ..

وأدارت مابل عينيها الخبيثتين خلف زجاج نظارتها الكثيف وقالت :

- ان تذكرتك لا تتعدى البرتغال ..

- سأمكث فيها الوقت اللازم ، لا اكثر ، فاننى أصر على معرفة الاماكن التى اقام فيها ابى ..

فقالت صديقتها بضحكة صافية :

- انك تسخرين منى ! فقد كان بوسعك ان تطلبى من الوكالة اعطاءك تذكرة دائرية للطواف بالاماكن التى تريدينها ، والا فان ذلك سيكلفك الكثير ..

فقالت فيكى تعترف بلهجة متشعبة :

- اوافقك على ان تصرفى يبدو اخرق ، ولكنه قد يكون اكثر تسلية ..

ولازمت مابل الصمت بضع ثوان ، كانما اشكل عليها الامر . ثم استأنفت الحديث بصوت اكثر جدية :

- يا عزيزتى فيكى كينيان : لا تفترضى فى قدرا اكثر من بلاهتى الطبيعيـــة .

فنضع جانبا رحلتـك العـــاطفية الى الامــاكن التى شاهدها ابوك خلال الحرب الاخيرة .. ولكن هناك شيئا اخر يا فتاتى ..

واستلقت الى الخلف واضافت وهى تلعق ببطء شرابها:

- انك تقررت سفرك الى اوروبا فجأة غداة بلوغك سن الواحد والعشرين عاما .. اليس ذلك غريبا ؟ كما انــك تسلمت خطابا من احد المحامين !

وتأملت فيكى رفيقتها ، ونم مظهرها عن ارادة قوية ، فهى ترفض الاعتراف لاى انسان بالدوافع العميقة لهــذه الحـــالة .

وعادت مابل الى اصرارها :

- ماذا حدث ؟ ما الذى افضيت به الى ذلك المحامى ؟ انك لم تريدى بتاتا اطلاعى عليه يا مس كينيان ؟

وابتسمت فيكى قسرا عنها وقالت :

- ليس ذلك فى استطاعتى .. فالامر يتعلق بسر ليس ملكا لى ..

- حســـنا ، فانا لا اصر على معرفتــه ، ولا اريـــــد

مضايقتك ، ولكننى أحبك ويسرنى أن تكون لك مغامرات جميلة مع شـاب جميـل !

وبعد ظهر يوم السبت كانت مابل تساعد فيكى عـلى حزم حقائبها ووضعها فى التاكسى ، وتبادلتا القبلات ، وقالت مابل :

- لن اودعك فى المطار لان ذلك سيجعلنى ابـكى .. رحلة سـعيدة يا حبيبتى ..

وحركت يدها طويلا مودعة حتى دارت السـيارة من ركن الشارع .. واستلقت فيكى فى زاوية السـيارة .. والقت نظـرة الى الخلف فلم تلحظ احدا يتعقبهـا .. وارتسم على وجه الفتـاة تعبير عن الارادة ، وخاطبت نفسـها :

« حاولى يا فيكى ان تكونى جديرة بمركز والدك ، انه وحده الذى يجب ان يشغل كل تفكيرك منـذ الآن .. وتذكرى ما روى لك عنه ، كم كان شجاعا ، على استعداد دائم لاتخاذ القرار النهائى .. فاحذرى اذن واحذرى من كل انسان ، وراقبى ما يدور حولك .. » .

ووصل التاكسى الى المطار الدولى، حيث سادت ضجة كبيرة ، ونزلت فيكى ، والقت نظرة جديدة حولها ، فلم تلاحظ شيئا .. وحدثت نفسها :

« هل من الجائز ان القى بنفسى ، انا فيكى كينيان ، فى اكثر المغامرات غموضا ، مغامرة تفوق مستواى العقلى كثيرا ؟

وصاح السـائق :

ـ رحلة سعيدة يا انسـة ..

بينمـا كان احد الحمالين يحمل حقائبهـا ويسبقها الى شباك شركة الطيران العالمية ..

وبدت فيكى الصغيرة مبتهجة .. وهى تثب الى الخطر دون وعى بالظروف المحيطة بها .. وكانت تبذل جهـدا لتبدو طبيعية ، ولتختلط بجمهور المسافرين .. وقال لها الحمـال :

ـ ستقلع الطائرة فى الساعة الثامنة والربع يا انسـه ، وقد كان قدومك مبكرا جدا بخلاف ممثلات السينما اللاتى لا يصلن الا فى الدقيقة الاخيرة حتى يلفتن النظر .

وكانت تستمع اليه دون ان تعى ما يقوله ، فقد شغلت بالتطلع حولهـا بنظرات فاحصـة .. كانت تتفرس فى الوجوه .. ولم تعلق اى اهتمام خاص على رجل طويل القامة ، زاهى الملبس ، شغل بالحـديث مع احـدى المضيفات وكان يقول لها :

ـ يسرنى جدا ان اجلس الى جوارها ، ولا ينبغى ان يكون هناك عائق ..

واجابت المضيفة : ـ سابحث الامر ..

فانحنى على اذنها وقال بلهجة من يدلى باعتراف :

ـ اننى صديق للانسة كينيان ، وهى لا تعـلم اننـا

سنسافر على نفس الطـائرة وكم ستكون مفاجأة لها عندما تراني احتل المقعد المجاور لها ٠

وهزت الفتاة راسها الشـقراء ، وطمأنته بابتسـامة قـائلة :

- اظن ان الامور ستسوى ٠٠

- شكرا ، ولكن لا تخطريها ، دعيها تتمتع بفـرحة المفـاجأة ٠٠

وابتعد عنها ، ولمح فيكى تستلقى عـلى مقعـد على مسافة منه ، وهى تقلب صحائف مجلة مصورة دون ان تكف عن التطلع يمينا وشمالا ٠٠ وكان واضحـا انهـا حذرة ، وكتم الرجل الذى حجز مكانه باسم كورت جيجار حركة استياء فقد داخله شعور اكيـد بانه مراقـب ٠٠ وان احد هذه الوجـوه المجهـولة يتعقبـه ٠٠ ويتجسس عليـه ، وبلع جيجار ريقـه وهو يفـكر فى هذا الموقف السىء : ان يتعقب فيكى كينيان ، وان يكون هو نفسـه موضع تجسس :

وبعد قليل ، انبعث من مكبر الصوت ، صوت ينـادى:

- الطيران الدولية ٠٠ الرحلة ٦٢٤ ، الى لشبونة ٠٠ تفضلوا بالاتجاه الى الابواب ٠٠ ستقلع الطائرة فورا ٠٠

فنهضت فيكى ، وسار من خلفها رجل بدين ، غليظ الملامح ، احمر الوجـه ٠٠ ابيض الشـارب واللحية ٠٠ يشبك على أنفه نظارة ، ويبدو كأنه رجل أعمال سويسرى او المـانى من طراز القرن الماضى ٠

وقدمت فيكى بطاقة سفرها ٠ واجتازت الابواب وهى تحدث نفسها : انتهى الامر يا فتاتى ، ولا منفذ للعودة ٠٠

وعلى مسافة بضع خطوات منها ، كان الرجل الملتحى يجتــاز الممر المسفلت المؤدى الى الطـــائرة المتـــأهبة للاقلاع ٠٠ بينما سار فى المؤخرة ذلك الرجل الطويـل القامة الذى سجل اسمه : جيجار ٠٠

وبدات الرحلة ، وتسللت المغامرة الى كيان فيكى ٠٠ فقد كانت تريد ان تكون جديرة بمركز ذلك الذى تحمـــل اسمه ، وستعرف المزيد فى لشــبونة ، وسيتحقق كل ما اراده لابنتــه ٠٠

الفصــل الثــانى

جلست فيكى فى مقعدها بارشاد ملاحظ الطــائرة ٠٠ ووضعت حقيبتها فى السلة ، ورتبت ثيابها ، وهى تنتهز كل حركة تأتى بها لتتفرس فى جيرانها : حاولى ان تكونى معقولة يا ابنتى ٠٠ صحيح ان والدك كان يعمل فى قطاع مغلق من اخطر القطاعات ، واكثرها ســرية ، ولكن لا يصح ان يكون ذلك سببا لا تتصورى ان كل ما حولك هم من القتلة ، والجواسيس ، والعملاء المزدوجين ٠

ورات رجلا يقف امامها ، ويقول محييا :

ـ معذرة ٠٠ لعلك تفضلين مقعدى يا انسة ؟

- شكرا فأنا راضية جدا عن مقعدى ..

- وجلس ارجل الطويل القامة ، وخلع قبعته فأبان عن وجه قاسى التقاطيع ، وابتسم ابتسامة قصيرة للمضيفة ، وربط حزام الامان ، واخذ يتفرس فى وجوه الركاب ، كما كانت تفعل ، وهو يحس بأنه مراقب ، وانه يمثل دور المطارد الطريد .. كان يدرس اسارير الركاب ، واحـدا بعد الاخر ، ولم يراوده الشك فى اى منهم ، عدا ذلـك الرجل الملتحى ، الذى يشبك نظارته فوق انفه .. فانه لم يرتاح لمظهره ..

وارتفع صوت يقـول : طـــاب مســاؤكم ســيداتى وسادتى .. قــائد الطائرة يحييــكم ويرحب بكم على ظهر الطــائرة ..

واخذت المضيفة فى الطواف بالممر الرئيسى لتتأكد من أن كل راكب قد أحكم ربط حزامه حول وسطه ، حتى اذا ما وصلت الى الصف الذى تجلس فيه فيكى قالت :

هل تسمحين يا انسة ..

وانحنت عليها لكى تربط لها حزامها ، ولكنها صاحت فجــأة ..

- يا الهى .. فيكى كينيان !

وانتفضت كيكى من الفرح .. وصاحت : - فميدا !

- نعم .. انا فريدا اوليفيروس .. يا له من لقـــاء جميل ، يا .. مس كينيان .

- ماذا دهاك لمخاطبتى بالرسميات .. لم يتغير شىء عن ذى قبــل ..

- معذرة . . فأنا مجــرد فتاة عــادية . . ترتــدى ثوب العمل البراق ، اما انت فراكبة فى الدرجة الاولى .. انك اصبحت شخصية هامة جدا .

- انك واهمة يا فريدا .. اننى اعمل فى احد بنـــوك نيويورك .. واتمتع باجازات سنوية .. ولكن .

وانحنت قليلا ، وهمست فى اذن صديقتها التى يغطيها الحلق الذهبى : تصورى اننى ورثت اخيرا ، ارثا ليس كبيرا ، ولكنه كان كافيا لان امتع نفسى برحلة جميلة .. هذه هى القصة .

- ســتقصين على تلك القصــة بعـــد ان انتهى مــن دورتى .. فالى لقاء سريع ..

ابتعدت .. بينما اكملت الطائرة دورتها فى ســاحة المطــار .. وارتفع صوت ازيز محركاتهــا الاربعة .. ثم ارتفعت فى الفضاء ،، مبتعدة عن مدينة نيويورك ..

والتفت جار فيكى اليها وقال لها :

- معذرة يا انستى .. سنتناول العشــاء جنبــا الى جنب ، كذلك ســنقضى الليل .. فاسمحى لى ان اقــدم نفسى : كورت جيجار ، وكيل مصنع كبير للساعات ..

وانا : فيكى كينيان ، سكرتيرة متواضعة ..

وقامت فريدا اوليفيروس وخادم المطعم بتقديم وجبــة

العشاء للركاب ٠٠ وقال جيجار وهو يكتم تجهم وجهـه ، عندما رأى جارته تتناول الطعام بشهية :

- اننى احسدك على شهيتك يامس كينيـان ٠٠ فانى اخشى من دوار الجو ، الذى يصيبنى مهما اتخذت مـن احتياطات ٠٠ وبالرغم من جودة الطعـام فأنا لا انتفع بــه ٠٠

وابدت فيكى دهشتها ، فلم يكن هناك اى ارتجـاج او اهتزاز ، ولم تتعرض الطائرة لأى مطب هوائى ٠٠ ولكن جيجار هز كتفيه قائلا :

- اننى ضحية لاعصابى ٠٠ كما قرر لى ذلك كثير مـن الاطباء وانا اكثر من الحبوب المهدئة والمنـومة ، لذلك اغط فى نوم عميق ٠٠ وهذا هو علاجى من الوعكات ، فلا يأخذك العجب اذا لم أرد عليك بعد عشر دقائق ٠٠

وأخرج انبوبة الحبوب المنومة من جيبـه ، وتناول امامها حبتين ، واستدار على جانبه مبتسما ، وهو يفكر فى عدم لفت نظر الفتـاة ، وذلك بالكف عن الثرثرة معها ٠٠ وقال لها :

- طابت ليلتك يا مس كينيان ٠٠ ارجـو ان نستيقظ معا فى صباح الغد لا تمكن من التقدم لك لمعرفة لشبونة ٠

واغمض عينيه متصنعا النوم ، وتابعت فيكى التهـام طعامها بشهية ، بينما كان هناك جاسوس على مسـافة منهما ، لم تفته كلمة من الحديث المتبادل ٠٠ فقد وضـع

الرجل ذو اللحية فى فراغ اذنه جهاز دقيق الحجم يصله بعلبة عجيبة سلك رفيع جـدا ، ويسمح له بالتقـاط اى حديث يجرى على مسافة منه ، وهو من احدث اجهـزة الأستمـاع التى وضـعها رجـال العـلم فى خـدمة الجاسوسـية .

وهكذا استطاع الرجل الملتحى سماع حديث فيـكى مع المضيفة دون ان يشك فى امره احد من الركاب .

وابتسمت فريدا لزميلة الدراسة وقالت :

ـ ها قد انتهى العشاء ، وجمعت الاطباق ، وهـدات الحركة .. فلنتحدث كما كنا نفعل فى ايامنا الماضيـة الجميـلة ..

بكل سرور يا فريدا .. هل تذكرين تلك الامسـيات التى كنا نتخيل فيها مستقبلنا ؟

ـ وكيف لا اتذكر .. لم اكن افكر فى ذلك الوقت فى اننى سأعبر الاطلنطيقى جوا ثلاث مرات فى الاسبوع .. وانت يا فيكى أهذه هى اول رحلة جوية لك ؟

ـ نعم .. فبالرغم من الميديل ـ ويست .. اتذكرين دافيل ؟ والمدرسـة ؟

فتنهدت فريدا وقالت :

ـ ارجو الا ابقى طويلا على هذا الحظ واتمنى لك التوفيق ايضا يا فيكى ..

وامسكت فيكى عن العبوس ، كمـــا لو كانت تخفى فكرها الحقيقى ، وقالت :

- لا شك انك تتقاضين ضعف مرتبى فى البنك ..

فتأملتها فريـدا ، وكانت جالسـة على ذراع مقعـدها ، تبادلها ذكريات المـاضى ، وامانيه ، وسألتها المضيفــة الشـابة :

- هل تزوجت يا فيكى ؟

فرفعت هذه يدها ، وارتها خاتم العذارى ، فأضافت المضيفــة ..

- لن يطول الوقت ، سيأسر جمالك مليونيرا ..

- اننى قانعة الان بانفاق الثروة الصغيرة التى تركهـا لى والدى .. ولم اشعر بموته وفراقه حقا الا فى اللحظة التى استدعانى فيها المحامى ليسلمنى الارث .. ولم اجد وسيلة لانفاقه أحسن من زيارة الأماكن التى عـاش فيهـا اخر ايامه .

- ماذا كان عمل والدك ؟

وترددت الفتاة لحظة كعادتها .. فقد رفضت من قبل الاعتراف بقصتها لزميلتها فى المكتب ، مابل ، ولكنها لم تقو على اخفاء الامر عن زميلتها فى الدراسة .. وقالت:

- كان يعمل فى المخابرات ..

فأجابت المضيفة : - مدهش . انه عمل رهيب ..

فتمتمت فيكى : - لقد مات وسط غموض مطبق ..

- هل انت متأكدة انه مات حقيقة ؟ ان هذا العمل ينطوى على اسرار كثيرة .

- ولهذا اسافر الى البرتغال ..

- بحثا عن السر ؟

وابتسمت فيكى وهى تذكر صباها عندما كانت فريدا تسدى لها النصائح لتجنبها العقـــوبة .. وقالت وهى تعترف :

- اخشى صعوبة الامر .. فقد انقضى خمسة عشـــر عاما .. ولكن ..

وتطلعت الى جارها ، الذى بدا يغط فى نومـــه ، والحقيقة انه لم تفته كلمة واحدة من حديث الفتـــاتين الهامس ، وكذلك الرجل ذو اللحية ، وبالرغم من انهـــا خفضت صوتها عند هذا الحد من الحديث ، الا ان ذلك لم يضايق الجاسوسين .

- لقد ترك ابى خطابا باسمى ، وقد اعطاه لى المحامى مع مبلغ الارث ، وفى هذا الخطاب .

فأكملت فريدا العبارة بدلا عنها :

- قال لك ابوك ان تبادرى بالذهاب الى لشبونة . متى حرر ذلك الخطاب ؟

- اظن انه كتب الخطاب عشية اختفائه .. فقد كتب

الى محاميه يطلب منه تسليمى الخطاب والمبلغ الصغير اذا لم يظهر ثانية .. ولكن كان لابد من انتظار بلوغى الواحد والعشرين عاما ، كما اسلفت لك القول .

وهزت فريدا منكبيها ، ورفعت قبعتها بحركة رشيقة على شعرها الاشقر .. وقالت :

ـ لن تقنعينى ان رؤساءه لم يبحثوا عنه ، ولابد انهم يعرفون مصـــيره ..

ـ على اى حال فقد حاولت من جانبى ، عبثا ، معرفة الحقيقــة منهم وكان ردهم فى ذلك الوقت ، اى ســنة ١٩٤٥ ، ان حوادث الاختفاء قد تعددت .

وتنهدت دلالة على حيرتها وقالت :

ـ الا ترين يافريدا ان الامر لا يخلو من البلاهة ؟

ـ طبعا . ومن كان يدرينى ايام الدراسة ان صديقتى الصغيرة فيكى كانت ابنة رجل مخابرات .

ـ وبوسعك يافريدا ان تضيفى اننى اقوم اليوم بــدور مخبرة هاوية ، مجنونة ، اذا اننى اتعقب اثارا اختفت منذ زمن طويل ..

ونهضت صديقتهــا ، ولفت منكبى رفيقــة صبــاها بذراعها ، باشارة حنان ، وقالت :

ـ لا يبدوا لى الامر جنونيا كما تريدين تصويره . ولو انه كان يبدو لك كذلك حقا لمــا اقدمت على هذه الرحلة

الطويلة . وانا اقترح عليك التالى : سأتوقف فى لشبونة ٤٨ ساعة ، وسأكون حرة طليقة كالهواء لمـدة يومين ، وسيتسع الوقت لمساعدة صديقتى فيكى .

وقالت الفتاة بصوت يختلط فيه الحماس والحرج :

- اتريدين حقا ؟

- اعتمدى على يا فيكى .. اننى اعرف لشبونة حق المعرفة .. وسنتجول فيها ، ونفتش كل البيوت اذا لزم الامـر ، وسـنعثر على ما تبحثين عنـه فالى الغـد يا حبيبتى . نامى الان .. وسأمضى فى العناية قليـلا بالاخـرين .

وطبعت على اطراف اصابعها قبلة موجهـة لها .. وتمتمت :

- طاب ليلك يا فيكى كينيان ، يا فتاة المخابرات ..

الفصـل الثالث

انعكس على المحيط خط شـاحب اخترق الأفق ، ثم اخذت الرؤيا تتضح بالتدريج ، فغمرت السماء ، وانارت الظلمات ، ثم تجلى شروق الشمس وكانت فيكى قـد استيقظت منذ وقت طويل واخذت تتطلع من النافذة الى السحب الموردة اللون ، وهى تتحرك فوق البحر الزمردى اللـون .

وتحرك جارها بضعف ، والقى عليهـا نظرة مشبعة بالنعاس فبادرته التحية :

- صباح الخير يا مستر جيجار .. لعلك احسن حالا ؟

- اننى على ما يرام .. وسأذهب لاغتسل واحلق ذقنى ثم اكون على اهبة الاستعداد .. اظن اننا نقترب ؟

وبعد برهة حملت فريدا اوليفيروس الافطار .. وأخذ كورت جيجار يلتهمه بشهية ، وبدا انه تعافى من الوعكة التى المت به امس ، فلاح عليه الاشراق وهو يفكر فى ان جارته الجميلة ستقوده الى الثروة التى يحلم بها، وراوده الفكر فى أن يجمع بين المتعة والفائدة ، فيخوض مغامرة عاطفية وبدا الحديث :

- اخبرتنى انك تسافرين الى لشبونة للمرة الاولى .. اما انا فاعرفها ، اذ ترددت عليها اكثر من مرة ، ولى زبائن كثيرون من البرتغاليين ، وهم قوم ظرفاء ، بطيئو الحزم غالبا ، ولكن طقسهم رائع ، ونبيذهم فاخر ، وبيوتهم جميلة ، حتى ليحلو للانسان ان يضيع وقته بينهم . اين تنزلين ؟

- فى فندق تاجوس ، وقد دلتنى عليه وكالة السياحة، وهو ليس من الفنادق الكبيرة الفاخرة ..

- ولكنه معروف باستكمال وسائل الراحة ، وزبائنه من الصفوة (وشرب جرعة من القهوة الصافية بغير سكر ثم اضاف) . وانا انزل به كل مرة ازور فيها لشبونة .

والقت عليه فيكى نظرة فاحصة فقد الم بها شعور غريب ، ولكنها عادت تناقش نفسها : هل ستشك فى كل

من تقابله ؟ ولا شىء يدعو الى الريبة والقلق اذا كان جارها فى الرحلة قد اختار نفس الفندق الذى ستنزل به ٠

وبذلت مجهودا للتغلب على شعور القلق الذى بـدا ينتابها منذ اليوم الذى قررت فيه اطاعة رغبة والدها عقب استدعاء المحامى لها لقد كانت مجرد امنية ، وهى عجولة لمعرفة ما وراءها ٠

وبدات الطائرة فى الانخفاض ،ولاح شاطىء البحر الجميل ، وبدت البيوت بلون ابيض وردى ، فتصاعد الدخان من بعض السفن الراسية فى مدخل نهر تاج الذى تصب مياهه فى الأطلنطيق ٠٠ وقال كورت جيجار :

ـ هذه هى لشبونة ! لقد احسنت اختيار اول لقاء لك مع القارة الاوروبية القديمة ٠

واستقرت الطائرة الضخمة على الارض بخفة العصفور ٠٠

وراحت فريدا تتم واجباتها الاخيرة ٠٠ واقتربت من صديقتها وهى تهبط من الطائرة وقالت لها :

ـ سالحق بك فى فندق « تاجوس » بعد ساعة ٠٠

واتجهت فيكى الى مكتب الشرطة والجمرك ٠٠ وتبعها جيجار ٠٠ دون ان يعير احدهما التفاتا للرجل البدين الذى انتظم فى صفوف الركاب الهابطين ، دون ان يحول بصره عنهما ٠

وسأله سائق التاكسى الذى استوقفه :

ـ الى اين يا سيدى ؟

ـ الى تاجوس ٠٠

واقترح كورت على فيكى ان تستقل معه نفس التاكسى ٠٠ وترددت الفتاة قليلا ، ولكنها ما لبثت ان حملت سلوكه على انه يصدر عن رجل مهذب مجامل ولعله يطمع فى مغامرة معها ٠٠ وما الذى ستخسره ما دامت فريدا ستلحق بها بعد ساعة ، وقبلت الدعوة واتجه بهما التاكسى الى الفندق ٠٠ وقال لها :

ـ هذه المضيفة رائعة الجمال ، اهى صديقة لك ؟

ـ كانت زميلة لى فى احدى مراحل الدراسة ، ثم افتقدتها ، حتى التقينا مساء الامس بطريقة الصدفة ٠ وانا سعيدة الحظ بذلك ، فهى تعرف لشبونة تمام المعرفة وستكون دليلتى فيها ٠

وكتم جيجار عبوسة ، وتصنع الابتسام وهو يقول :

ـ لا تجعلينى اتخلى عن الامل فى اصطحابك لاكتشاف المدينة ٠٠ والا كرهت صديقتك ٠٠

وكان يحتفظ بلهجته الساخرة المسلية ، مما جعل فيكى تشك فى امره رغم حرصها وحذرها ٠٠ واضاف هو يطمئنها :

ـ اترك للانسة ٠٠ ما اسمها ؟

ـ **فريدا اوليفيروس ٠٠**

- اترك لها الفرصة لتكون دليلتك طوال النهار .. فانا مشغول فى نفس الوقت .. ولكن هذا المساء ..

- ماذا عن المساء !؟

- ستكونين ضيفتى ..

وأحست بالحرج ، فان ظرف هذا الرجل لا يدع مجالا للشك فى نواياه ، واجابته :

- لن يكون من اللائق الانتفاع بفريدا طوال النهار ، ثم هجرها ليـــلا ..

- لم اقصد هذا المعنى .. اننى استضيفكما وســأكون سعيدا برفقتكما ..

وكان الطريق محاذيا للاطلنطى ، وبـــدأت المدينـــة تتكشف امام عينى فيكى المبهورة .. ومهما اتت به هـــذه الرحلة فلن تندم عليها ، اذ اتاحت لها التمتع برؤيـــة هذه المناظر الخلابة .. وسألها جيجار برفق :

- ما رايك ؟

- انها رائعـــة ..

- ليس هـــذا الا البـــداية ، ولست اشـك فى ان مس أوليفيروس ستكشف لك عن جمال الكنائس ، والشــوارع القديمة فى هذه المدينة الاثرية .

وتوقفت السيارة امام الفندق ، وهو بناء جميل ، ذو نوافذ كبيرة وشرفات فسيحة ، وساعد جيجار الفتاة عـــلى

النزول بينما اسرع خادم الفندق لحمل الحقائب .. فقال لـــه :

- احتفظ بحقائبى ، وسأمر خلال اليوم .. وانت يـا مس كينيان ، الى اللقاء هذا المســاء .

وانتظر حتى مدت له يدها بحركة رشـيقة ، وانحنى، ولبثت هى واقفة على عتبـــة الفندق تتعقب ببصرهـــا السيارة وهى تنصرف ، وتختفى ، وقد داخلهـا شـعور غريب ، فهى حائرة لا تدرى ما اذا كان ينبغى ان تقلق من هذا اللقاء العابر البسيط ...

وعندما دخلت غرفتها اخذت تدور حول نفسها ، وهى تفتح الدواليب وتدخل الى الحمام ، وتتطلع من الشرفة الى المارة ، وباعة السمك فى ثيابهم الزاهيـــة الالوان ، وهم يحملون سلالهم على رءوسهم ، ينادون بأصواتهـــم العالية ، وسط السيارات الفاخرة ، التى تخترق شـوارع هذه المدينة التى تحتفظ بجمال الحياة ولبها ، رغم تناقض مظاهرهـــا .

والتفتت فيـــكى الى شرفة الغرفة المجـاورة ، وكانت خالية ، ولكن ابوابها مفتوحة ، ورات فى زجاجهـا خيال رجل اولى ظهره العريض ، منحنيا ، ولم تعلق اى اهمية، ولو انها كانت فى وضع يمكنها من مشاهدة ما يـدور فى غرفته لاعتراها القلق ، اذ كان يسلط جهازه فى اتجـــاه غرفتها ليسمع كل كلمة تدور فيها .. وقد استمع فعـــلا للحديث التـــالى :

- هالو فيكى ..

- فريدا .. اى ثوب رائع ..

وضحكت المضيفة الشابة وقالت :

- بما ان الليالى فى الجو تمضى رتيبة ، باعثة على السأم ، فاننى احرص على الاحتفاظ فى كل مدينة انزل فيها ببعض الثياب التى تتيح لي ان اعود امرأة كالاخريات ، حرة افعل ما يروق لى ويسلينى ، ما الذى سوف تفعلينه الان ؟ .. هل تقومين بنزهة ؟ ام بجولة استطلاعية ؟

- اعلنك باننا مدعوتان للعشاء هذا المساء ..

- ارى انك لاتضيعين وقتك ايتها الشابة الجميلة .

- انك تعرفين مضيفنا : انه جارى فى رحلة الطائرة وقد اصر على دعوتنا ..

وجلست فريدا على مقعد واشعلت سيجارة ، وقالت :

- اتعنين انه اصر على مصاحبتك انت ، وازاء تحفظاتك قبل مس اوليفيروس لنمسك بالشموع !

وكانت فيكى منهمكة فى اخراج ثيابها وتعليقها ، وهى تتحرك فى الغرفة مما ازعج جارها البدين ، لان الصوت كان يعلو وينخفض ، مما جعله يحدث نفسه مزمجرا :

« يا للشقية .. الا تستطيع ان تبقى فى مكان واحد »!

وسألتها فريدا : - لم استطع الحكم على هـذا الرجل. من يكون ؟ أهو زئر نساء جذبه جمالك ؟

واجابت فيكى وهى تضحك :

- لا شك اننى غبية يا فريدا ، اذ يدهشنى الحـــاحه واصراره على الا يدعنى وحدى .. ولست الا فى بدايـــة مهنتى فى المخـــابرات ..

- حسنا .. فلنكف عن الحديث عن مستر ..

- كورت جيجار ..

- فلندع مستر جيجار لمشروعاته الشيطانية ، وسـنرى هذا المساء اذا كان ينوى فعـــلا اصطياد العصـــفور فى القفص ، او انه جاسوس حقا .. حدثينى عن ابيك .

وحدقت فيها فيكى ، واخذت تتذكر ايام الطفولة عندما كانت فريدا تبتكر النكات ، وتعد المشاهد الساخرة ، مـع الاحتفاظ بجديتها امام المدرسات ، واختلاق المعاذير .

واخرجت فيكى من حقيبتها كيسا جلديا ، وتناولت منه مظروفا طويلا .

وقالت فريدا : - انك حريصة .

اسمعى .. وسترين ان ابى قد ضاعف من حرصه ..

واخرجت الخطابات من المظروف واخذت تقرأ :

- اذهبى الى تاجر العاديات فى « سيجوزانسا » الذى

يقع محله فى شارع « دو اورو » عند زاوية « فيزو » .. تذكرى هذه الاشارات جيدا يا فيكى .. واطلبى ان يعطيك العلبة التى سلمتها له .. واتمنى لك حظا سعيدا يا ابنتى العزيزة ...

وصفقت فريدا بحماس وقالت :

- رائع ! ها نحن قد اكتشفنا السر ، ولا ينقصنا شىء حتى ذلك الجاســوس المعجب بالبطـلة الجميـــلة .. هلمى ..

فسألتها صديقتها بدهشة : - الى اين ؟

- الى شارع « دو اورو » .. ولا اعرف الزاويــة التى يتحدث عنها ابوك المحترم ، ولكننا سنعثر عليها بشىء من الحظ .. والخبث ايضا .. ولا تفوتك مراقبة الشــارع ، والتطلع حولك .. فنحن مراقبون من موسكو وقد يـكون من واشنطون .. او من المخابرات ..

وابتسمت فيكى باعجاب : فلو ان هذه الفتاة وقعت فى فخ لمـا فقدت مرحها ..

واستقلا تراما الى العنوان المذكور ، وكان الشــارع مزدحمـا ، يزخـــر بالنـــاس ، والملابس المتنــاقضة ، والســواح ، وصيادى السمك والحســناوات وعجــائز النســاء الانجليزيــات اللاتى رحن يتابعــن ما تعرضـــه المتاجر ، ويعلقن عليه .. وقالت فريدا :

- اين هو تاجر العــاديات .. ليس هذا هو المــكان

المقصود .. فليس هنا الا محال للعطور والجواهر والاشياء الغريبة ودور السينما ..

فسألتها فيكى : ـ لعلك خدعت ؟

ـ كلا .. فنحن فى فيسو .. وهذا هو شارع « دو اورو » ..

ودارت فريدا حول نفسها وهى واقفة على الافريز .. تتمعن فى الواجهات الانيقة .. دون ان تعثر على المحل الذى ذكره كينيان ..

ولكنها ما لبثت أن اشارت الى بناء قديم قائم فى زاوية الشارع ، علقت عليه لافتة كتب عليها بحروف مذهبة « بنك انتيجو ودى سيجورنسا » ..

وتمتمت فريدا : ـ هذا العنوان يطابق تماما ما ذكره بابا كينيان ..

ـ ولكن ما معنى سيجورانسا ؟

ـ انها تعنى بالبرتغالية شيئا مثل « الامانة » أو « الأمن » .. ولا تنسى أن والدك كان ينتمى الى المخابرات ، ولابد له من انتقاء الاسماء الملغزة ..

وتنفست الصعداء تعبيرا عن سرورها بحل اللغز .. وقالت :

ـ هنا قد حل اللغز رقم (١) ، فلننتقل الى اللغز التالى : وهو العلبة المودعة .. هيا بنا !

ـ فلندخل ..

وتذكرت فيكى عبـارة فاحصة وردت فى خطاب والدها تقول « سيتذكروننى » وصعدت الفتاتان السلم جنبـا الى جنب ...

الفصل الرابع

جلس الكولونيل « ويد » على مقعده جامد الاسـارير ، يتفرس فى الرجل الانيق الجالس أمامه بعدم اكتراث ، اذ كان يتمتع بشهرة عالميـة ، وثقة كبيرة من شرطة العـالم الذين يلجأون اليه طلبا لمعونته .

وقال الكولونيل ويد :

ـ انتهزت فرصة وجودك فى أوربـــا لاعهد اليك بهذه المهمة .. وتلك هى أوامر واشنطن ..

ظل الرجل الثـــانى صامتـــا ، يدخن ببطء وهدوء ، منتظرا بقية الحديث وأضـاف الكولونيل :

ـ اننى بحاجـة اليك يا قديس لانهاء هذه المسألة التى لا أدرى الى أين تقودنا ، وأى مضاعفات ستسببهـا لنـا ..

وفتح سيمون عينيه ، محدقا فى عينى محدثه .. وقال بصراحـــة :

ـ انك تفضل أن تبقى بعيدا ..

واحنى ويد رأسه وقال :

- هناك اسئلة كثيرة لن نجد رجلا أفضـــل من القديس ليجد الرد عليها ..

وتذكر ان الماجور كينيـان قد اختفى منذ خمسـة عشر عاما ، وضـاعت كل جهودنـــا للعثور على أثره ، عبثا ! فكيـف لا نهتم بابنتـــه التى سـارعت الى المجىء الى البرتغـال منذ أن بلغت سن الرشد ؟

- ألم يحدث يا كولونيل ان أقفلت ملفا لضابط مخابرات قد اختفى ؟

فأجاب باقتضاب وبلهجة غير ودية :

- بتاتا فى مثل هذه الحـالة ..

وأشرق وجه سيمون بابتسامة بطيئة .. فـان المغـامرة تناديه مرة أخرى .. ومحـــال أن يقاوم اغراءها ..

- اتفقنـا .. ولكن دعنى أحيط بكـل مـــا عندك من معلومات ..

فربت ويد على رزمـة من الورق الموضوعـة على مكتبه وقـال :

- لقد وصـل كينيـان الى لشبونة فى فبراير ١٩٤٥ ، واليك بهذه المعلومات الهامة يا تمبلار : لم يسبق لــه أن حضر الى البرتغـال دون الاتصـال بسلفى الكولونيـــل ستيرلنج ، وهذا ما فعله فى تلك المرة : فعند وصولـه الى فندقه ، اتصـل تليفونيـــا بالكولونيل ستيرلنج وأخطره بقدومه .. وهذا هو كل ما حدث ..

وكان سيمون يدير سيجارتــه بين أصابعه ، فرفع بصره الى محدثه وسأله :

ـ أهذا هو كل شىء ؟

ـ نعم ، فقد وعد كينيان بالحضور فى نفس اليوم ٠٠ ولكنــه لم يحضر ٠٠ وقد تحرك ستيرلنج على الفــور ، فذهب الى الفندق ولم يجد كينيان ، وقيل أنــه خرج ولم يظهــر بعد ذلك ٠٠ وأخطــرت واشنطن على الفــور ، فأرسلت ضــابطا من هناك ، ولكن حظه لم يكن أسعد من حظ ستيرلنج ، فقــد بحث فى كل مكان ، ودفع مبــالغ طائلة ، وبذل وعودا للمرشدين ولكن كل تلك الجهــود فشلت ٠٠

وكان القديس يراقب ضابط السفارة الامريكية ببصــره وكان رجلا نشيطا عملاقا نافذ النظرات وقال له :

ـ يجب اللعب على المكشوف يا ســيدى الكولونيل اذا أردت حقا أن اؤدى عملا مثمرا ٠٠

ـ حسنا ٠٠ ماذا تريد ؟

ـ ماذا كانت المهمة التى كلف بها الماجور كينيان ؟

ـ تعقب الشبكة التى أنشــأها النــازيون فى حــالة خسارتهم الحرب ٠٠ ولعلك تذكــــر ذلك الوقت العصيب الذى مر به الحكم النازى ٠٠ عندما أخذ يفكر قادتهم فى الهرب ، وكانوا بحاجة الى المال ، والى الاتصــــالات ، وايجاد شبكة ٠٠ وهذا هو ما كان كينيان يبحث عنــــه ٠٠

وهز سيمون رأسه برفق متمتما : بدأت افهم ..

وتابع ويد حديثه :

- كان الماجور كينيان من اصل المانى ، وقد عاش وقتا طويلا فى مدينة درسدن الالمانية ، وكان يتكلم الالمانية بطلاقة . وفى سنة ١٩٤٤ قضى اكثر من ستة شهور عند النازى ، حاملا بطاقة من الحزب ، على مرأى ومسمع من كل كبار الحزب ، دون ان يشك فيه احد ، وكنا نعتبره من ابرز واهم رجالنا الممتازين ..

وسأله سيمون : هل وصل من المانيا النازية الى البرتغال رأسا ؟

- كلا .. بل تسلل هاربا عندما شعربتولد الشكوك ، فاجتاز الحدود السويسرية ، حيث اقام هناك وقتا قصيرا ، ولم يرسل لنا بأى تقرير ، لأننا كنا ننتظره هنا ..

- من الجائز ان هناك خدعة ، وان شخصا آخر هو الذى تحدث بالتليفون فهز الكولونيل رأسه بالنفى قائلا :

- لا مجال للشك .. فقد اثبت التحقيق الدقيق ان كينيان قد وصل الى هنا ، ولكن لا احد يعرف مصيره بعد ذلك ..

وتطلع ويد الى محدثه باصرار وقال :

- لا تنخدع يا قديس ، فنحن نعرف مهنتنا ، ولا تظن ان كينيان قد اختفى فى المانيا ، وانهم سخروا منا مرتين : مرة فى سويسرا ، ثم مرة فى البرتغال .. هذا فرض يجب استبعاده ..

وهز سيمون كتفيه وسأله :

ــ وما هو رأيك الشخصى ؟

ــ انه يتلخص فى كلمات قليلة : لقد وضع كينيان يده على مسألة هامة ٠٠ وأراد كشفها وحده دون الاستعانة بأحد ، فكان الضحية الاولى ، ومن قواعد مهنتنا الاساسية عدم المغامرة فى هذه العبة ٠

ونهض القديس وراح يذرع الغرفة ثم توقف فجأة وقال وهو يتطلع من النافذة الى بعض النخيل الذى بدأ ينمو فى حديقة السفارة ٠

ــ وماذا تريدنى ان افعل بعد انقضاء خمسة عشر عاما ؟ هل تأمل ان اقول لك : سنحضر لك كينيان هذا المساء حيا أو ميتا ؟

ــ مهلا يا قديس ، انك تهمل الجزء الاخر من القضية : لقد استدعيناك من اجل ابنة كينيان ٠٠ ويقال انها ظريفة ٠

وهز سيمون كتفيه وقال :

ــ لقد تعديت السن الذى العب فيه دور دون جوان هذا الى انها اذا كانت بلغت الان سن الرشد ، فمعنى هذا انها كانت فى السادسة من عمرها ، عندما اختفى كينيان ، فلم تكن تصلح للقيام بدور ماتا ــ هارى ٠٠

ــ اتعلم السبب فى حضور مس كينيان الى لشبونة ؟ لانها تسلمت خطابا من المحامى كتبه والدها فى ذلك

الوقت ، واظن ان هذه المصادفات جديرة باهتمام القديس.

ـ حسنا : واين هى هذه الفتاة ؟ ماذا صنعت بها ؟

ـ لا شىء حتى الان . ولكننا سنذهب الى اقصى حدود الامكانيات .. فهناك اشياء هامة كثيرة يا تمبلار ..

ـ واين هى ؟

ـ انها نزيلة فندق تاجوس ..

فهز سيمون رأسه قائلا :

ـ حسنا .. ارجو ان اتعرف بها منذ اليوم ..

ـ تريث : هناك معلومات اخرى .. يلوح انها على صداقة مع مضيفة الطائرة التى أتت بها من نيويورك .. ويلوح ان عدة اشخاص من بين ركاب تلك الطائرة يهتمون ايضا بالانسة كينيان .. وارجو ان توافقنى يا قديس بأننا على حق فى ألا نترك هذه الفتاة الجميلة بدون حماية .. ولست اشك فى انك ستقوم بدورك بكل اتقان ، وهذا هو أيضا رأى اصدقائك فى واشنطن ..

وابتسم سيمون وانصرف .

وبدلا من ان يستقل سيارة بعد مغادرته دار السفارة ، سار على قدميه ، مسرعا الخطى ، وهو يفكر فى شرطة واشنطن الذين يلقون به فى مثل هذه المغامرات الغامضة ..

واستطاع ان يحصل من استعلامات فندق تاجوس على

ما يريده من معلومات لقاء بعض النقود ، فعلم ان فيكى كينيان تقيم فى الغرفة رقم ٣٠٢ وان الغرفة ٣٠٤ المجاورة لها لم تكن خالية ٠ واستأجر الغرفة رقم ٣٠٣ المواجهة لغرفة فيكى ليجعل منها نقطة للمراقبة ٠٠

وفى نفس الوقت كانت فيكى تدخل بصحبة فريدا الماجنة الى بنك انتيجودى سيجورانسا ، وبعد سؤال احد الموظفين ، واستجواب آخر ، والخروج من مكتب للدخول الى مكتب آخر ، قابلتا السنيور مانويل ٠٠ وهو رجل عجيب حقا : ضئيل الحجم ، قصير القامة ، هيكلى الجسم ، فضفاض الثياب ، يحرك يديه اللتين تشبهان ايدى المومياء ليرفع نظارته ، ثم يعيدها الى مكانها ٠٠

وتأمل الزائرتين بانتباه ، وبخاصة فريدا التى ازعجته شخصيتها ، وقالت فيكى تشرح سبب الزيارة :

ـ انا مس كينيان ، ابنة ريتشارد كينيان الذى أودع وديعة فى بنككم ٠

ـ حسنا ، حسنا ، وكيف حال عميلنا ٠٠ تقولين ان اسمه كينيان ؟

اننى لا اذكره ٠٠٠

وتغلبت على ترددها وقالت :

ـ كلفنى ابى ان احضر نيابة عنه ٠٠

ـ آه !

ـ الوديعة ترجع الى سنة ١٩٤٥ ٠

وهز السنيور ماتويل رأسه وقال :

ـ لم اكن اشغل هذا المكتب فى ذلك التاريخ ، ولكن لا اهمية لذلك ، فاذا كان السنيور ٠٠ آه ٠٠ كينيان قد اودع وديعة فى خزائننا ، فسنجدها ٠٠٠

واجتاز الغرفة بخطى بطيئة ، واخذ يبحث بين ملفات ضخمة ثم امسك بأحدها وراح يقلبها ، واستعان بعدسة مبكرة ليحلل خطها المعقد ٠٠ وهمست فريدا فى أذن زميلتها :

ـ آراهنك على أنه اذا كان جورج واشنطن قد زار يوما هذا البنك ، فانهم يحتفظون بتوقيعه ٠٠٠

وكانت أذن البرتغالى العجوز مرهفة ، فقد عقب على قولها دون أن يرفع رأسه :

ـ اعلمى أيتها الشابة اننا نحتفظ هنا ، فى خزائننا بحوالة لاذن كريستوفر كولومبس ٠٠ وهى حوالة غير مدفوعة ٠٠٠

وتابع بحثه الذى انتهى بزمجرة المنتصر :

ـ آه ! ريتشارد والتركينيان ٠٠٠٠

وتأمل الفتاتين من فوق اطار نظارته ٠٠ وأضاف :

ـ استمعا الى هذه المذكرة الخاصة :

« فى ٨ فبراير ١٩٤٥ ، أجر السنيور كينيان فى بنك أنتيجو خزانة ، ودفع قيمة ايجارها مقدما لمدة عشرين سنة » اليس ذلك عجيبا ؟

وحدثت فيكى نفسها بأن والدها قد اضطر الى هـــذه الاجراءات الحريصـــة لأنه ربما كان ضحية مطـــاردات عنيفة ، كما كان عليه أن يحتفظ بالكنز لابنتـــه بعيدا عن الشبهات ، والاطماع ·· وأفاقت من تفكيرها على صوت الرجل العجوز وهو يناديها :

ـ انك تدعين يا آنسة أنك ابنة كينيـــان ·· فهل لديك دليل تقدمينه الى ؟

وتقدمت له جواز سفرها ، وبعض الوثائق الاخرى التى سلمها لها محاميها قبل مغادرتها نيويورك ، وفحصــها السنيور مانويل ثم قال بابتسامة الرضاء :

ـ فيكتوريا ايلين كينيان ·· انك ابنة المودع ، ونحن نسلم بذلك ··

وسأقودك الى صـــالـة الخزائن ، ولكن بقى ايضـــاح واحد ···

ولمعت عيناه خلف نظارته بالفضول ، وهو يلقى نظرة قصيرة على الفتاة الاخرى قبل أن يتم عبارته الموجهة الى فيكى ،

ـ لم أقل لك حتى الان أن السنيور كينيان قد اوضح بدقة ان لابنته فيكتوريا وحدها ·· أسامعة أنت : وحدها ·· الحق فى فتح الخزانة ···

وضحكت الفتاتـــان ، وأصرت فيكى على اصطحـــاب صديقتها فريدا ·· فهز العجوز منكبيه وطلب منهمـــا أن

يتبعاه وهو يتعجب من ايمان هؤلاء الشابات بفضيلة الصداقة ، ولو ان أحدا قضى مثله أربعين عاما فى أحد البنوك لادرك ان المال محرك قوى ، لا يمكن مقاومة اغرائه .

ونزل الثلاثة السلم ، وكان بنك انتيجو دى سيجولرانسا عتيقا فى مجموعه ، سواء فى ابنيته واثاثه ، أو فى موظفيه .. واقترب السنيور مانويل من خزانة كبيرة من الصلب وفتحها ، واختار خزانة صغيرة من داخلها ، وانحنت فيكى على اذن صديقتها وقالت :

- اننى خائفة ....

- علام الخوف ! سيخرج من الخزانة كل الميداليات التى جمعها أبوك .. الا اذا كانت مجموعة من البطاقات البريدية .

والقى الرجل عليها نظرة تأنيب .. فلم يكن يستملح الدعابة ، ووضع الخزانة المعدنية الصغيرة على المنضدة الكبيرة التى تتوسط الصالة وتمتم باجلال كما لو كانت تحتوى على كنوز العرش البرتغالى :

- هذه هى يا آنسة الخزانة التى استأجرها ابوك .. وهاهو مفتاحها ...

وأبدت فيكى له اشارة ، كأنها تستنجد به ، وفهم هو ما تعنيه وقال :

لا يا آنسة : من حقك وحدك فتحها ، واسمحى لى بالانصراف ....

واتجه الى الباب بخطى الراقص العجوز ، واجتازه تاركا الفتاتين وجها لوجه مع الخزانة ، وقالت فريدا

- بفارغ صبر .

- ماذا تنتظرين ؟ اننى شغوفة لمعرفة بقية القصة ...

ولم تتحرك فيكى وهى تتأمل الخزانة وتتساءل :

عما عساها تحويه من الغاز .. وأدارت المفتاح فى قفل الخزانة .. وفتح غطاؤها وشهقت فريدا من اليأس قائلة فى تعجب :

- انظرى ! كنت أتوقع حزمة من الجواهر ، فاذا بى أجد خطابا ! ثم مالت على صديقتها وقالت :

- لم يكن أبوك من رجال المخابرات يا فيكى .. ولكنه كان من رجال الادب ، هيا ، اقرئى ...

وأمسكت فيكى بالمظروف السميك المختوم بالشمع وقالت :

- لن أقرأه هنا !

- لماذا ؟ الست شغوفة بقراءته ؟

- على النقيض يا فريدا . اذ يبدو لى أن هذا الخطاب مملوء بمادة متفجرة وليس هذا المكان صالحا لانفجار... فلنعد الى الفندق ونغلق بابنا ..

- كما تشائين .. ولو كنت فى مكانك لما قاومت الفضول ...

– طبعا لانك لا تعيشين فى قلق مثلى منذ أيام يافريدا ! يخالجك الاحساس بأنك محل تجسس ، وتعقب حتى فى أفكارك .. وسوف نعرف كل شىء فى الفندق ...

– حسنا .. فلنسرع .

وأعادت ترتيب الخزانة ، وحيتا السنيور مانويل الذى ودعهما على الباب ، وابتعدا عن البنك ، دون أن تنتبها الى شخصين كانا يختفيان خلف شجرة قريبة ، وكـــان أحدهما هو جيجار ، الذى أخفى ملامحه بمهارة فائقة .

الفصل الخامس

كان كورت جيجار يتظاهر بقراءة صحيفة برتغالية وقد نشرها أمام وجهه ليخفيه عن الانظار ، وكـــان يتحدث ، وهو يكاد لا يحرك شفتيه ، الى رجل بشع المنظر ، يدخن سيجارا اسود اللون كريه الرائحـــة ، وقد صوب بصـــره الزائغ الى الفتاتين اللتين تشابكت أذرعتهما ، وقال له :

– هل فهمت يا بدرو ؟

– اننى أفضل السمراء ..

فزجره جيجار : – ما دمت سأدفع لك ، فليس لك حق الخيار ، وأنا مهتم بالشقراء فقط ..

– حسنا .. حسنا ..

– اخطفها ..

– حسنا .. وعلى أى حال فان الشقراء مليحة أيضـــا

.. ولكن الا تظن انه باستطاعه ..

فقاطعه جيجار :

- نفذ ما اقوله لك ، ولا تحاول ان تضيف افكارا جديدة

- حسنا ، سأتبعهما ..

فاستبقاه جيجار بيد حديدية :

- لا ضرورة لذلك ، فستجدهما فى فندق تاجـــوس . والمهم ان تحصل على تاكسى ، ولا تسرف فى الحديث الا ما كان ضروريا ..

وهز بدرو منكبيه ، وعبرت أساريره القاسية عن عدم رضا ، فلم تكن هذه هى المرة الاولى التى يقوم فيها بمثل هذه المهمة ..

وصلت الفتاتان الى الفندق ، وكانت فريدا قد فـــرغ صبرها ، فقالت لزميلتها :

- لك ان تفخرى بمهارتك على صهر اعصابى ، وجذبى خلفك من طرف انفى ..

فشدت فيكى على ذراعها وقالت لها :

- ترفقى يا فــريدا .. وحاولى ألا تحملى على ، وانا اعرف انك صاحبة الفضل فى اكتشاف البنك ، فأصــبرى قليلا ..

- قليلا ؟ بل اطنان من الصبر ..

واجتازتا ردهة الفندق دون ان تلتفتا الى نزيل كان يتحدث مع الموظف المكلف بالاستقبال ، الذى اشار الى الفتاتين قائلا :

- ها هما يا سيدى ..

- حسنا .. ولكن تحاشى الاشارة الى الناس باصابعك .. فان ذلك لا يليق ..

- ألم تسألنى عن الانسة كينيان ..

ومنعه تمبلار من تكملة الحديث ، ووضع ورقة مالية على مكتبه ، واتجه الى المصعد بخطوات بطيئة ، فقد كان يشعر بأن وقت المغامرة لم يحن بعد ، فظل يجمع المعلومات ، ويتفرس فى وجه الفتاة ، وايقن بأن الكولونيل ويد لم يخدعه ، وادرك ان رفيقتها هى المضيفة الجوية ذات الشعر الاشقر .

وما ان دخلت الفتاتان الى الغرفة رقم ٣٠٢ حتى اغلقتها فريدا بالمفتاح وارتجته بالمزلاج ، ثم اغلقت النافذة .. وامعنت فى السخرية ، فتناولت كرسيا كبيرا ووضعته خلف الباب ، كما وضعت كرسيا آخر خلف النافذة بعد ان اسدلت ستائرها ثم سألت زميلتها :

- ارجو ان تكونى راضية ، فلن يتمكن احد من مفاجأتك ..

ولم يخطر لها ان سلكا دقيقا بالقرب من النافذة ينقل الى جارهما كل حديثهما ..

وجلست فريدا على مقعد بوضع مقلوب ، وقالت :

- ها أنا انصت ..

فتأملتها فيكى وتمتمت :

- تريثى لحظة حتى القى نظرة ، ثم ..

- ثم تقولين لى ما اراده والدك ..

- الا يخطر ببالك ان ابى قد ضمن الخطاب سـرا ..

- كفى هراء ! اتظنين انه اودع الخطاب اسرار الدولة !

وبدأت فيكى القراءة وهى جالسة على السـرير ، وبدا الاهتمام على وجهها ، وقطبت جبينهـا ولجلجت : « يا الهى ! » ، ثم مستحيل ! » وزاد غضب فريدا وزمجرت :

- استحلفك بأعز مخلوق لديك الا تضنينى من طـول الانتظار .. والا فسأموت هنا .. امامك !

ولكن صديقتها لم تتحرك ، وبدا عليها الاصـرار على الكتمان ، وظلت ممسكة باوراق الخطاب بين اصـابعها ، ثم تمتمت :

- لا استطيع ..

- ماذا تزعمين ؟

- كلا ، كلا ، ليس لى الحق ، لا استطيع اطلاعك على ما كتبه أبى لى .. ليس الان على الاقل ..

فنهضت فريدا بقفزة واحدة وصاحت :

- ليس لك الحق ؟

وتسمرت امام صديقتها ، وشبكت ذراعيها .. وبلغ من خيبة املها ان فقدت السيطرة على الفاظها ، فقالت :

- هذا درس لى حتى لا اغيث اليتيمات الباكيـات .. اؤكد لك اننى لن ادس انفى الكبير فى المستقبل فى شئونك الصغيرة التافهة .

وكان دليل مبالغتها ان انفها كان دقيقا ، جميـلا .. واتجهت الى الباب واطاحت بالكرسى وادارت المفتاح .. فقالت فيكى معتذرة :

- لا تحملى على يا فريدا ، فاننى فى حالة ذهـول تامـة ..

ولم تبد القسوة على وجه فريدا ، وادركت انهـا بالغت فى التعبيير عن خيبة املها ، فتمتمت :

- حسنا .. فكرى فى الامر بروية ، اما انا فسـأريح جسدى قليلا ، فليس احسن من القيلولة لتجميـل لون البشرة ، اذ اود ان اظهر جميلة هذا المسـاء حتى انتزع منك الرجل المعجب بك .. حذرا يا فيكى فسـأنتقم منك لك الخطاب ، ولى كورت جيجار الجميل !

وفتحت الباب ، ثم التفتت الى داخـل الغرفة وقالت ساخرة :

- اصارحك القول : لو ان ابى كتب لى خطابا يلقى بى في مثل هذه المتاهات ، لجحدته ..

وغطت فيكى وجهها بيديها وقالت مواصلة الاعتـذار :

- لا تحقدى على يا عزيزتى ٠٠ فقد اصبت بصدمة ٠٠

- حسنا ! لا تشغلى بالك ، فان عقدة الحرمان من الحق التى تقلقنى لا تدعوك الى الشعور بالذنب ٠

وتنهدت فيكى ورفعت رأسها ، وتطلعت الى صديقتهـا بنظراتها المضطربة ، من القلق ، وقالت تعترف :

- على ان اتخذ قرارا ٠٠ اخطر مما تتصورين يا فريدا ، ولا احد يستطيع اسداء النصح الى ٠٠ لا احد !

فقالت فريدا ساخرة :

- كما يروق لك يا فتاة المخابرات ! وعلى انا ايضـا ان اتخذ قرارا : هل سأكتب الى حبيبى ام لا ؟ والى اللقـاء فى السابعة مساء اليوم !

وانصرفت فريدا بخطا خفيفة ، ولم تنتبـــه الى باب الغرفة المواجهة التى تحمل رقم ٣٠٣ ، حيث كان يقف احد المهتمين بمغامرة الماجور كينيان : وهـــو القديس الذى ظل يراقب غرفة فيكى ولم يكن بحاجة الى ذكاء خـــارق ليدرك ان الفتاتين قد افترقتا على عراك ٠٠ ولماذا ؟ اذا لم يكن يسبب ذلك الخطاب الذى تحدثت عنه فريدا ، والذى تتمسك فيكى بأن تحتفظ به لنفسها ٠ ولذلك فانه يصر على ان يقرأه ايضا ٠

وواصل سيمون مراقبته لغرفة فيكى وهـــو يفـكر فى استعجال الامور ٠ فبوسعه ان يقرع بابها ، فاذا دخـــل

استعمل القوة للاستيلاء على الخطاب ٠٠ ولكن هناك عقبات كثيرة تقف ضد هذه الوسيلة ، فباستطاعة فيكى ان تستنجد ، فى حين ان المطلوب هو استعمال الرقة ٠

وكانت نفس الفكرة تداعب الرجل الذى يقطن الغرفة رقم ٣٠٤ ، وقد سمع نقاش الفتاتين ، ولكنه لم يعرف فحوى الخطاب وحدث نفسه : « أى تعاسة فى اننا لا نستطيع ان نبصر خلال الجدران ، كما نسمع من خلال الحواجز ! » ٠

ولو ان كليهما ـ القديس وصاحب اللحية ـ كانا داخل الغرفة وشاهدا فيكى وهى تقرأ الخطاب ، لما سرهما الامر ٠٠ فقد قرأت الخطاب مرارا وهى تواجه اتخاذ قرار حاسم ، وهنأت نفسها على اخفائها الخطاب عن فريدا ، فمن الافضل الا تعرف الان ما كتبه الماجور كينيان لابنته ٠

اما فريدا فقد خرجت من الفندق غير راضية تماما ، وسارت بخطى متوترة ، محاولة السيطرة على اعصابها ، فبالرغم من تظاهرها بالاستخفاف امام صديقتها الا انها ظلت متأثرة من معاملة فيكى لها ٠ وهى التى ساعدتها على العثور على بنك انتيجو فلقيت جزاءها جحودا وعقوقا !

وارتفع صوتها ينادى :

ـ تاكسى !

ورفعت زراعها للفتى نظر سائق التاكسى الذى اعتمد بذراعه على نافذة سيارته ، وراح يتبادل الحديث مع

مواطن له ، والتفت الرجلان اليها ، فاجتازت الشـــارع وقصدت الى السيارة ، وفتح الرجل الذى كان يتحدث مع السائق الباب امامها ، فركبت بعصبية ، وما كادت تجلس حتى فوجئت بامرين حدثا بسرعة مذهلة :

فقد قفز الرجل الذى فتح لها الباب الى داخل السيارة وجلس بجانبها ، ثم انطلق التاكسى بسرعة جنونية دون ان يتلقى السائق أى تعليمات من الراكبة ·· حـــدث ذلك بسرعة لم يكن ينبىء عنها تراخى السائق منذ لحظات ·

وصاحت هى :

ـ الى اين تذهبان بى ؟ ·· ما هذه الطريقة الغريبة ؟ النجـــ ··

ولم تتمكن من اتمام الكلمة ، فقد اطبقت يد جـــارها القوية على فمها ، وانبعثت منها رائحة كريهـــة ، وهى مزيج من رائحة الطباق ، والسمك البكالاة ، وهمس فى اذنها آمرا :

ـ الزمى الصمت يا آنسة والافسأضطر آسفا لتشويه هذا الوجه الجميل ·· فهل تتعقلين ؟

ورفع راحة يده ، فلم تصرخ ولكنها تفرست فيه بغضب شديد وقالت فى حنق :

ـ حقا اننى انصحك بالفرار فورا ، والا لحق بك الاذى ·· وانت ايها السائق !

ولكن هذا الاخير لم يدر رأسه ، وتابع قيادة ســـيارته

بأقصى سرعة ، ولكن بحرز حتى يتفادى ما دائما يفسد عليه خطته .

وصاحت فريدا بغضب :

- توقف والا استنجدت !

وقال الرجل الجالس بجانبها :

- لا داعى للغضب ، فان السائق لا يأتمر الا بأمرى فهو صديق قديم لى ، الجأ اليه دائما .. ويحسن بك ان تسمعى هذا ..

وابتسم وهو يخرج من جيبه خنجرا ، وضغط على زره فبدا النصل لامعا ، يشع منه الموت .. وتخيلت فريدا مصيرها : ميتة رخيصة ، بدون مجد ، داخل تاكسى . وعما قليل سيعثرون على جثتها ملقاة فى الطرقات . وهى لا تريد الموت بل تتمسك بالحياة ، كما ان هذه المغامرة التى انغمست فيها لابد ان تكون متصلة بالمغامرة التى تعيشها فيكى . لذلك يجب المضى الى النهاية ، ومعرفة نوايا هذين اللصين ، ثم اقامة الدليل بعد ذلك لفيكى على انها ليست صديقة وفيه فحسب ، بل وبطلة ايضا .. وقالت :

- حسنا ، سالتزم الصمت ، ولكن يجب ان تتكلم انت .. اريد ان اعرف ..

- صبرا ايتها الجميلة .. ما اسمك ؟

- كلا ، لن اسمح بان اسمع اسمى يتردد على فمك القذر ..

- خسارة ! تحرك يا تونو (مخاطبا السائق)

وبعد عشرين دقيقة توقفا فى شـــارع بارتو على مقربة من الميناء ، وحرك حامل الخنجر - بدور - سـلاحه تحت بصر جارته وقال :

- هلمى ، سننزل هنا ، ولا تحاولى المقــاومة فان ذلك سيكلفك غاليا !

فأطاعت ، ودفعها بدرو الى باب منخفض دخلته بعد ان طأطأت رأسها ، واعقبها السائق ، واغلق البـــــاب بالمزلاج ، ورفعت فريدا رأسها وقالت بشجاعة :

- لن تخيفانى ، فلستما الا لصين حقيـــرين ، ونحن نعرف فى امريكا اساليب تفوق اساليبكما .. ولو علــمت سفارتى كيف تعاملان امريكية بهذه الطريقة فســتعاقبكما اشد العقاب .. هل استطيع الانصراف الان ؟

- بعد الاجابة على سؤالنا يا آنسة .. ولكن اسمحى لى اولا ..

وتناول حقيبة يدها ، وفتحها ، وفحص اوراقهــا ، ثم ضحكة ضحكة مخبولة وقال :

- انك تحملين اسما مشابها للاسماء البرتغالية .. وعلى أى حال فان فريدا تروق لى .

ثم كرر بلهجة عاطفية :

- يا حبيبتى فريدا الجميلة !

فصاحت به :

ـ احرم عليك مناجاتى !

ـ لن تحرمينى شيئا ٠٠ ستجلسين هنـا ، وتتناولين هذا القلم لتكتبى رسالة صغيرة ٠٠

ـ لمن ؟

ـ لصديقتك فى فندق تاجـــوس ٠٠ اكتبى لهـا انك استدعيت على عجل ، وانك مشغولة طوال الليل ، وليس باستطاعتك اصطحابها ٠٠

وجلست فريدا ، وهى تستعرض فى ذهنها عشـرات الخطط للهروب ، ولم تجد واحدة منها صـالحة للتنفيذ ، فقررت ان تتصنع الطاعة مؤقتا ٠ وسألت :

ـ أهذا هو كل ما تريدانه ؟ أتختطفـانى ، وتهددانى بالخنجر الحاد السـلاح لتجبرانى على التخلى عن دعوة للعشاء ؟ اليس ذلك غريبا ٠٠ ؟

فهز بدرو منكبيه ؟ وابتسم ابتسامة غريبـة كشفت عن اسنانه القذرة وقال :

ـ ان المعجب بصديقتك يصر على ان يبقى وحيدا معها هذه الليلة ٠ الا تجدين ذلك امرا طبيعيا ؟

ـ ما دمت تسألنى رأيى ، فاعلم ان السيد كورت جيجار ما دام لابد من الاشارة اليه باسمه ، يتخذ طريقة عجيبـة للتعبير عن عاطفته ٠٠ على اى حال ٠٠

وأمسكت بالقلم وهى تجهد ذهنها لتستوحى عبـــارة تثير شك فيكى وحذرها ولكن للأسف ، كان بدرو يقرأ ما تكتبه من فوق كتفيها ، وعندما ارادت كتابة اعتذار مشبوه ، غرس سكينة فى الطاولة وقال :

ـ كفى .. لانريد اكثر من ذلك ..

ـ اذن دعونى اخرج من هنا ..

فتفرس فيها طويلا ، بنظرات عميقة ، ثم نادى سائق السيارة وقال له :

ـ خذ هذه الرسالة ، واحملها الى فندق تاجوس ، ولا تتوقف .. عد بسرعة .. أفهمت ؟

واحنى الآخــر رأسه ، وانصرف .. وجلس بدرو فى مواجهة اسيرته وقال :

ـ والان يا آنسة .. الان يا عزيزتى فريدا .. سنتحدث بلطف ..

ـ لقد وعدت من قبل ..

ـ ان ادعك تنصرفين .. اذا حكمت عقلك ..

ـ لقد كتبت الخطاب الذى طلبته .

ـ اهذا هو كل ما طلبته ؟ اذن لقد نسيت ، لاننى كما اكرر لك ، اطالبك بان تجيبى على بضعة اسئلة يا عزيزتى فريدا ..

واقترب منها وهو يحرك السكين بيده اليمنى بطريقة اخافت الفتاة .. فصاحت :

ـ ابتعد عنى !

ـ لا فائدة من الصريخ ، فالجدران سميكة ، والجيران غائبون ، ومفتاح الباب فى جيبى .. كما اننى مسلح وانت لا .. وبكلمة واحدة فان كل الظروف هى لصالحى فى حين انها ضدك .. فأجيبى اذن ..

ـ على ماذا ؟

ـ كيف تعرفت على صديقتك السمراء ؟ ومن تكون بالنسبة لك ؟ ماذا فعلتما سويا فى بنك انتيجو ؟ ماذا سحبتما من الخزانة .. هل سحبتما نقودا ؟ وجواهر ؟ او سندات ؟ اريد القصة كاملة .. تذكرى جيدا ما حدث ، والا فاننى سأضطر (وتنهد طويلا) .. ..

سأضطر لقطع جلدك الى سيور أصنع منها . حزاما . اذ اننى بحاجة الى تغيير حزامى .. تكلمى اذن ..

وصرخت ، بينما لزم هو الصمت ، ولكن يده اقتربت منها بسرعة فائقة ، وأحست فريدا بالرعب .. وقالت :

ـ لا تؤذنى ..

ولم تشعر برغبة فى ان تعيش احدى قصص هيتشكوك المفزعة ..

ولكن عندما غادر بدرو ذلك المنزل بعد وقت ، كان وجهه ينم عن الفشل ، وكان يتمتم بالشتيمة ،لاعنا نفسه

أكثر مما يلعن العنيدة التى لم تزوده المعلومات التى كان يتوقعها ..

وكان الليل قد أقبل عندمـــا لحق بالرجل الذى كـــان ينتظره فى احدى البارات الصغيرة ، متظاهرا بقراءة صحيفة يخفى بها وجهه .. فجلس الى جانبه وسأله جيجار :

ـ ماذا عندك ..

ـ أخبار سيئة .. لقد تكلمت بغير صعوبة .. ولكنهـــا لم تفض بشىء هام ، فقد كان لوالد صديقتها خزانة فى البنك وسحبت منها الفتاة خطابا .. هذا هو كل ما افضت به ..

ـ وما الذى ورد فى ذلك الخطاب .. ؟

ـ يبدو ان فريدا الشقراء لا تعرف شيئـــا عن فحواه لان صديقتها رفضت اطلاعها عليه .. ولكن يبدو ان الخطاب على جانب كبير من الأهمية .. فنهره كورت بقوله :

ـ يا لك من أبله ! أتزعم ان هاتين الفتاتين تخفيان أسرارهما عن بعضهما بالرغم مما بينهما من صداقة ترجع الى عهد الطفولة .. لقد أمرتك ان تحملها على الكلام .

ـ لقد فعلت كل شىء من اجـــل ذلك ، ولم تتكلم قبـــل ان .. قبل ان ..

وتردد فى اتمام حديثه ، ولم يصـــغ جيجار للكلمات الاخيرة وعاد يقول :

ـ عد الى هناك .. ومارس عملك كما ينبغى ..

ـ هذا امر متعذر ، فلن تنطق بشىء الآن ـ اذ تجاوز زميلى تولو المتوحش الحدود ٠٠

وافزع جيجار كأس « البورتو » فى جوفه بحركة عنيفة وهو يلوم نفسه على استعانته بهـــؤلاء المبتدئين سيىء التصرف ، ولكن لا يستطيع ان يقوم بكل الادوار بنفسه ، كما انه حريص على الا يكشف نفسه امام فيكى ٠٠ ونهض منصرفا وهو يقول :

ـ مادام قد انقضى الامر ، فرتب الامور بحيث لا يبقى أى اثر ٠٠ قلت لك لا شىء ٠

ـ اطمئن يا سيدى ، فكل شىء جاهز ، وسننفذ ما تريد عندما يستغرق الليل ٠٠

ـ حسنا ، وسأذهب لمقابلة الفتاة الاخرى ، وسأبقيها فى الخارج حتى الساعة العاشرة على الاقل ، او بعد ذلك اذا استطعت ٠٠ فانتهز الفرصة لتفتيش غرفتها التى تحمــل رقم ٣٠٢ ٠

وكرر بدرو الرقم ٣٠٢ ٠

فأوضح جيجار :

ـ فى الطابق الثالث ٠٠ اصعد مع زميلك من سلم الخدم، فاذا صادفكما أحد فتصنعا البلاهة ، كما لو ضللتما الطريق ٠٠ ولكنى أنصح بتجنب اللقاءات ٠٠ وحذار من أن تتركا أى اثر فى الغرفة ٠٠ اعيدا ترتيب كل شىء ، والبســا قفازين ٠

ـ اعتمد على يا سيدى ..

وضحك جيجار بقسوة وقال :

ـ ولكن لا تعتمد انت على الا اذا كان جهدك مثمرا .. طاب مساؤك .

وانصرف بخطوات طويلة ، خفيفة ، وانتظـــر بدوره بضع لحظات شرب خلالها كأسين من البورتو ، وبدا انه غير مبتهج لسير الحوادث ، وخيل اليه انه لن ينـــال اجره .. ومع ذلك فان ذلك الرجل يجب ان يدفـــع ثمن الجثة ، حتى وان لم تبح صاحبتها بالسر قبل انتقالها الى امبراطورية الاموات .

وانصرف بدرو ، والتقى بزميله الســـائق عند زاوية زقاق ، وهو يهنىء نفسه لانه اتهم تولو امام جيجار ، لان ذلك قد يخدمه يوما .. وكان يبدو بعيد النظر .. وسأله تولو :

ـ هل دفع ؟

ـ كلا ! فقد لاح عليه عدم الرضاء ، مع اننا فعلنـــا كل ما فى وسعنا ..

ـ نعم .. فعلنا كل شىء !

ـ اطمئن .. فسيدفع بالرغم من كل شىء ، والان يجب انهاء العملية والتخلص من ذلك الطرد قبـــل ان تبرد الجثة .

وركب التاكسى ، وانزل العداد ، واجتازت السيارة الزقاق ، واوقفها سائقها امام باب البيت تماما ، ودخلا ، ثم خرجا يحملان طردا مستطيلا من الباب المنخفض ووضعاه فى التاكسى ، وانطلقا بحذاء الشاطىء حتى من المنطقة المضاءة ·· ووصلا فى النهاية الى مرسى للسفن ·· والقوا بالطرد الثقيل ثم عادت السيارة قبل ان تسترعى انتباه أى انسان ··

وقال بدرو مبتهجا :

ـ لقد تمت العملية بمهارة ·· وهذا سيرفع من قائمة الحساب ·

الفصل السادس

دقت الساعة السابعة مساء ·

وكانت فيكى قد تغلبت على يأسها ، وانهزامها الطويل، واصبحت عيناها تبرقان بعزم جديد ·· واذا كان المستقبل المباشر ملىء بالمشاكل ، الا ان قرارها كان حاسما ، وسوف تستعين بنصائح فريدا ولاشك ان صديقتها ستقف بجانبها ·

وتأملت زيها ، وزينتها فى المرآة ، وقد أبرز ثوبها المصنوع من القطيفة المذهبة شعرها الاسود ···

ودق جرس التليفون فى غرفتها ···

ـ الانسة كينيان ·· هناك مكالمة من أجلك ··

ثم سمعت صوت رجل متزن :

- آلو .. أنا كورت جيجار .. هل انت متأهبة .. او مازال امامك بعض الوقت للاستعداد ؟

- كلا .. سأنزل فورا ..

وتناولت حقيبة يدها ، واحتضنتها بحركة غريزية ، ثم فتحت الباب وخرجت وألقت نظرة حولهـــا واتجهت الى المصعد .. وكانت هناك نظرات تتبعها من باب الغرفـــة ٣٠٢ المفتوح قليلا .. وابتسم وهو يخرج من جيبه حلقـــة مفاتيح محدثا نفسه :

- أليس عجيبا أن تلزمنى وكالة المخابرات المركزية بأن اصبح من لصوص المنازل !!

وخرج من غرفته وهو يلتفت يمينا ويسارا ، ومرت به خادمة فتصنع عدم الاكتراث حتى اذا مـــا اختفت أعمل المفتاح فى قفل الغرفة ٣٠٢ ، ولم تنفض خمس ثوان حتى فتحه ودخل الى غرفة فيكى كينيان ليفتشها بدقة . وكانت الاخيرة قد وصلت الى الدور الارضى .. وأبدت الصبـــا ، وزميلة الدراسة ، وانبت نفسها على خشونتها قلقها لانها لم تر فريدا ، وشكت فى أن صديقتها ما زالت تحقد عليها ، وساورها الخوف أن تتخلى عنها رفيقة الصبا ، وزميـلة الدراسة ، وانبت نفسها على خشونتها معها عندما رفضت اطلاعها فورا على خطاب أبيها .. ولكن كان لفيكى عذرها وهو شعورها بالضيق والحرج لحظة قراءتها للخطاب .

وأبطأت من خطاها حتى لا تلحق بكورت جيجار بسرعة ، وكانت قامته المديدة قد لاحت فى الردهة ، وأقبل بابتسامة حماسية .. وقال :

ـ هذا ما كنت أتوقعه يا مس كينيان .. فانك لست على غرار أؤلئك الفتيــات اللاتى يطــلن اعدادا زينتهن غير مكترثات بدقة المواعيد ، انك دقيقــة ، رشيقــة ، انيقــة فشكرا .

فاجابت بغير ابتهاج ، وهى تحس نفسها نهبا للقلق :

ـ لقد اعتدت الدقة فى المواعيد .. ولا تنس ان التأخــر عن مواعيد المكتب فى نيويورك يــؤدى الى نتائج غــير سارة .. هل رأيت فريدا ؟

فتصنع عدم الفهم ، ثم دق على جبينه قائلا :

ـ أتعنين صديقتك ؟ لقد غابت عن ذهنى لم أرها ، وليست فى البــار لاننى توقفت به عند قدومى لاتذوق نبيذهم .. لاشك أنها فضلت أن نمر بفندقها لاصطحابها من هناك .. سأسأل المسئول عن الاستقبــال عما اذا كانت قد تركت لك رســالــة ..

وكانت هناك فعلا رسالة باسمها ، وزاد قلقها وهى تفض مظروفها وداخلها احساس خانق بأن هناك شبكة غامضــة تضيق حولها ، وتساءلت بدهشة :

ـ لماذا لم تتصل بى تليفونيا ؟

وألقت نظرة على الرســالــة ، وقطبت حاجبيهـــا ، ورددت بصوت مختنق

ـ يا للاسف !

ـ وقال جيجار مترفقا :

ـهل هناك اخبار غير سارة ؟

ـ انها تخبرنى بأنها استدعيت لتحل محل زميلة لها ، وان الوقت لم يتسع امامها لاكثر من كتابة هذه السطور . ولا شك أنها فى الجو الان .. وأظهر جيجار تضايقه ، واظهر ادبا جما وهو يقول :

ـ أمل ان تعتبرى نفسك فى أمن بصحبتى ، والا يعكر غياب صديقتك أمسيتى .. اليس كذلك ؟

فابتسمت ، وهزت رأسها السمراء الظريفة ، وتمالكت اعصابها ، وقالت :

ـ حسنا .. ولكن ما يضايقنى فى غياب فريدا هـــو الدافع .. هل هى حقا صادقة فى ادعائها ؟

ـ هل تشكين فيما كتبته ؟

ـ نعم .. فقد دار بيننا نقاش ظهر اليـــوم ، وكانت اعصابى ثائرة ، ولعلنى كنت منفرة ، ويحزننى ان تكون فريدا قد حملت الامر محمل الجـــد .. فقال بضـــحكة مطمئنة :

ـ لا داعى لهذه الاوهام ، فان الامر لا يتعـــدى نقاش الصديقين !

وقادها الى الباب الدائرى واضاف :

ـ لقد حجزت مائدة فى مكان سيعجبك .

وسارا على أقدامهما فى شوارع لشبونة التى ارتدت

حلة جميلة من الاضواء وأضفت عليها بوادر المدينة الجديدة اشراقا جديدا ، ازال عنها غضـــون القرون الماضية التى ظلت تغط عبرها ردحا طويلا ..

وأرادت فيكى ان تستمتع بالسهرة ، وبحديث رفيقهـا الذى اخذ يتلطف ويتودد ٠ ارادت ان تنسى همومهـــا لحظة ، وتذكرت زميلتها فى البنك ، مابل ، ذات النظارة الكثيفة ، فلو رأتها برفقة كورت جيجار لقالت لها الم أقل لك يافيكى انك ستقابلين مليونيرا يضــــــع ثروة تحت اقدامك » ٠

وفى الغرفة رقم ٣٠٢ كان سيمون قد اشـــعل مصباح الجيب الذى لا يزيد حجمه على حجم قلم الحبر ، وأغلق الباب من خلفه بالمزلاج ، واجرى تفتيشا اوليا ســـريعا ، بعد ان وضع فى يديه قفازا من المطاط ٠ واشرق وجهـــه البرونزى بابتسامة وهو يتذكر المغامرات المشـــابهة التى عرضت له من قبل عندما كان يهاجم بلا رحمة النصـــابين والمجرمين ، ويجردهم مما استولوا عليه بطريق غير شرعى

وكان هناك من يرقب حركاته وهو الجاسوس الصامت الذى يسكن الغرفة ٣٠٤ ، وكان على علم بخروج فيكى ، ثم دخول سيمون بفضل الجهاز الحساس الذى يحمـله .. والذى مكنه ان يتتبع عملية التفتيش التى يقوم بها القديس سرا ، ثانية بثانية ٠

ووقف المغامر وسط الغرفة يدور حول نفســه ببطء ، فاحصا الاثاث المحيط به ، مستعينا بغريزة المطاردة التى يملكها ليحرز المخبأ الذى اختارته الفتاة لاخفاء الخطاب

الثمين ، فلاشك انها تجنبت المخابىء العادية التى تخطر ببال أى مخلوق مثل : السرير المسند ، وطاولة الكتابة ، وكذلك الكرسى الكبير ، واختارت مخبأ أشد تعقيدا ..

فهل يكون المخبأ فوق الدولاب ؟

وتناول مقعدا ؟ وأدناه من الدولاب وصعد عليه ودس يده خلف المثلث القائم على سطح الدولاب ، وأفلتت منه ضحكة خفيفة : محدثا نفسه ؟ انه مخبأ كلاسيكى يا عزيزتى فيكى ، الصغيرة » .

وكان مشغولا بالبحث الى حد انه نسى ان يأخذ حذره، فعندما ادار رأسه لاحظ خلف زجاج النافذة شيئا غريبا ، وهو قضيب طويل رفيع جدا نستتند اليه عارضة رفيعة جدا ، دقيقة الحجم من الصفيح ، ولكن الليل كان حالكا ، كما كان هو منصرفا الى مهمته .

ونزل من على كرسيه ، وفتح المظروف الذى التقطه من اعلى الدولاب ، واخرج من الاوراق الصغيرة ، وبدأ يقرأ على ضوء مصباحه ، القلم :

« ابنتى الحبيبة فيكى .

« ان ما سأخبرك به سيجعل منك مليونيرة اذا أردت، ولكنى اتردد فى اطلاعك على هذا السر ، بالرغم من رغبتى فى أن أؤمن لك حياة ذهبية .. لأن الثروة تقترن يا ابنتى العزيزة بأخطار حقيقية مرعبة ، اكثر مما تتصورين » .

وهز سيمون رأسه ، وتذكر الكلمات التى تبادلتها الفتاتان عندما كانت الشقراء ، المدعوة فريدا ، تغادر الغرفة ٣٠٢ ، فقد قالت : « ارجو الا يكتب لى ابى خطابات تسبب لى مثل هذه المتاعب » !

وبدأ تفهم سيمون للموقف ، ولتعبير الرعب الذى بدا فى نظرات ابنة كينيان ..

واستأنف القراءة :

« فسيقوم آخرون ببذل كل جهد للحصول على نفس هذه الثروة .. ولن يدخروا شيئا فى سبيل ذلك ، وليس الأمر مجرد مزاح ، أو خيال ، وكثيرا ما سألت نفسى : هل انـا على صواب ؟ اليس من واجبى ان اترك كل شىء والا اقحم بك فى هذه المغامرة ؟ .. »

وصفر القديس صفيرا خفيفا ، وطوى الخطـاب دون ان يستمر فى قراءته ، فقد كان مستفيضا جدا ، ولاشـك ان كينيان كان يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، مترددا ساعة اتخاذ القرار النهائى كما يدل على ذلك هذا الخطاب الذى تركـه لابنته .

ولكن .. لم يكن على القديس ان يحمل للكولونيل ويد الصراع الذى قام فى ضمير الماجور كينيان ، ولكن .. ادلة مادية ، واثرا يقتفيه .. ولذلك كان لزاما ان يغادر الغرفة ٣٠٢ على الفور ، والعكوف على دراسة ادق للخطاب .

والقى القديس نظرة حوله ليتأكد من أنه لم يترك اثـرا خلفه ..

وأسرع الرجل ذو اللحية الى اخفاء معدات تجسسه .

ولكن الاحداث كانت تسير فى تيار آخر ، ففى الثانية التى كان القديس يجتاز فيها عتبة الغرفة رقم ٣٠٢ ، مر به رجلان غريبا المنظر تنم ملامح احداهما عن الخبث ، بينما كان الثانى يمثل القسوة .. كان وجه الاول شبيها بالكلب الانجليزى البولدج » ، وكان وجه الثانى الذى تغطيه قبعة عريضة الاطراف يمثل حيوانا ليليا ، يخطه شارب رفيع .

وجمد الاثنان فى مكانهما بعد مرور القديس وتمتم صاحب الوجه « البولدج » :

- ارايت هذا الرجل يخرج من الغرفة التى كان علينا ان نقتحمها ؟

فأجاب حيوان الليل :

- انك على حق ياتولو .. ولن يغفر لنا اذا ارتكبنا هفوة .. ومادام ذلك الرجل قد زار الغرفة قبلنا ، فيجب ان نقتفى أثره ..

- اتظن انه استولى على المال المخبأ ؟

- ليس هناك مال يا ابله .. بل هو خطاب ..

- حسنا .. ولكن ماذا يحتويه الخطاب ؟ اليست اوراقا مالية جميلة ؟

- انك مفرط الغباء يا تولو ، فلتكف عن النقاش .. هيا بنا ..

واتجها الى السلم بسرعة للحاق بسـيمون ، ولكنه كان قد نزل بالمصعد على انه لم يكن من عادة المغامر الفرار من الخطر الغامض .. بل ان القاعدة الاساسية فى حيـاته المحفوفة بالمخاطر هى معرفة الخصم ، وتحديد شـكله ، ومكانه .

لذلك اصر على التأكد من شـخصية الرجلين الغربيين اللذين التقيا بهما منذ لحظات ، فلو كانا بديئين ، فلن يهتما به ، بل سيذهبان الى غرفتهما فى سـلام . اما اذا كانا مشبوهين ، فسيقتفيان اثره .. وما ان وصـل الى الطابق الارضى ، حتى وقف يمتع نظره بالفرجـة على الجواهر المعروضة فى واجهة يعكس زجاجها البللورى خيال الهابطين من على السلم ..

ولم يطل الوقت ، فقد رأى خيال صاحب الوجه البولدوج يهبط السلم ، ومن خلفه زميله صاحب الوجـه الخبيث .. وامسك الثانى بذراع الاول وهمس فى أذنه ببضع كلمات ، لاشك انه اراد بها حثه على التأنى والابطاء .

واشرقت اساريره بابتسامة .. فسيلقن مندوبى الخصـم درسا قاسيا .. وشعر بتدفق الشباب فى عروقه ، استعدادا للمعركة مع الرجلين اللذين نجحا حتى الان فى التوارى ، فهما بلاشك يفضلون العراك فى الظلام .

واتجه قدما الى الباب الدائرى ، ودفعـه ، ثم وقف فى الخارج لحظة كمن يفكر فى اتجاهه ، ثم اختـار الطريق الاقل اضاءة مبتعدا عن الفندق ..

وتبعه الرجلان ، وسمع صاحب الوجـــه الغليظ يقــول لزميله :

ـ هل ننقض عليه ؟

فأجابه بدرو :

ـ مهلا يا تولو .. من العبث الاتيـــان بأى عمل بجوار الفندق .. دعه يتقدمنا قليلا ..

ـ واذا أفلت منا ؟

ـ لا خوف من ذلك ، وتذكر أنه اذا كان قد وجد الخطاب فيجب انتزاعه منه ..

ـ اعتمد على ..

وسار جانبا الى جانب ، يتلمسان الظلام ، بخطى غير مسموعة ، ولم يلتفت القديس خلفه ، بل كان يسير بخطى بطيئة ، متسكعا بغير اكتراث بالمارة والمشاهد المحيطـــة به ، بل انه كان يختار الازقة الضعيفــة الاضــــاءة ، غير المطروقة .. وضحك بدرو ضحكة مكتومة قائلا :

ـ أنه صيد سهل !

ولكن صديقه كان يفكر ببطء فى مشكلة تحيره .. فسأل :

ـ هل ذكرت الخطاب .. فاذا لم يكن معه ؟

ـ سنسأله عنه ، ويجب عليه أن يجيبنا ..

وضحك تولو قائلا :

- أرأيت ! اننى احب الاجابات الواضحة ، واذا اظهر سوء النية فما زال هناك مكان خال فى خليج لشبونة .. أليس كذلك ؟

وكانا قد وصلا الى مكان مقفر ، مظلم ، فقــال بدرو آمرا :

- هيا .. هذه هى اللحظة المناسبة ..

وأخرج من جيبه السكين التى أفزع بها التعيسة فريدا أو ليفيروس ، وتقدم على اطراف قدميه ، وأمسك بسيمون قائــلا :

فاستدار سيمون نصف دورة دون اسراع وقال :

- نعم .. لعلكما تريدان ثقابا ؟

- كلا ، بل نريد استعلاما بسيطا ..

- ولكننى غريب عن البلاد ..

- لا بأس .. فنحن نطلب معلومات أخرى ..

- عن آى شىء ؟

- عما تحمله فى جيبك ؟ .. الخطاب ..

- أى خطاب ؟ اهو خطاب تلقيتـــه ؟ اننى اعجب من فضولك يا عزيزى لانك تجبرنى على افشاء اسرار حبى ..

- حسنا .. لعلك تفهم هذه اللغة احسن ..

وشهر القاتل سكينه مهددا تمبلار ، ولكن الاخيــر لم يهتز ، بل ارتسمت على وجهه الابتسامة التى تراوده فى ساعات الخطر ·· فلم يكن السكين بالسلاح الذى يخيفه » وشحب لون عينيه الازرق ، واصبح كالصلب ، وقال :

- آه ! فهمت ! اهذا هو ما يهمك ايها الخبيث ؟

واخرج من جيبه بحركة سريعة الخطاب الذى عثر عليه فوق الدولاب فى الغرفة ٣٠٢ ، وتركه يسقط على الارض ·· وانحنى بدرو بحركة غريزية وهم بالتقاط الخطاب ، وقلبه يدق من الفرح ، اذ نجحت مهمته بأقل تكاليف ·

ولكن ابتهاجه لم يدم ، الان القديس هوى بيده اليسرى على العنق المحنى ، بينما امسك بيده اليمنى بقبضةالمجرم ، ورفعه فرمى به فوقه فهوى بدرو وهويئن : ذراعى !

واحس سيمون فى نفس اللحـــظة بقبضتين قويتين تحاول خنقه من الخلف فقال :

- ترفق يا غلام !

وبمجهود منسق بين الرئتين وحركة الذراع حمل غريمه على ظهره ، والقاه ارضا ·· وضحك سيمون قائلا :

- كما ينبغى ان تفصحا عن غرضكما ، فلســت أرفض العراك ··

واستطاع بدرو أن يجلس على الأرض وهو يترنح ··

وامسك بساق القديس وجذبها بعنف ، ولكنـــه تلقى

ضربة شديدة على رأسه طرحته ارضا .. وصاح بزميله :

- ماذا تفعل ياتولو ؟ سيقتلني !

وزمجر تولو كالثور ، فشبك يديه ، وانهال بهما على جمجمة هذا للخصم الصلب ، ولكن سيمون تنحى عن مكانه ، وتجنب الضربة بسرعة مذهلة ، واختل توازن تولو ، واحس بيد قوية تجذبه ، وتلقى ضربة « سوينج » فى وجهه جعلته يرتمى على مسافة أربعة اقدام .

والتقط سيمون انفاسه ، واضعا يديه فى وسطه وقال لهما :

- والآن ماذا تريدان أيها الصبية لا شك انكم معشر البرتغاليين تحسنون استقبال ضيوفكم ، كل ذلك من اجل خطاب .. وتوقف عن الحديث فجأة .. تذكر المظروف الذى تركه يسقط على الأرض .. فانه لم ير له اثرا !!

اختفى الخطاب ! ولم يلتقطه احد من الرجلين ، اذ كانا منهمكان فى العراك .. ولابد ان شخصا ثالثا كان موجودا ، وانتهز فرصة العراك ليستولى على الخطاب ..

وقطع عليه تفكيره صوت استغاثة منبعثا من الشارع المجاور .. فقد سمع صوت رجل يصيح وسط الظلام :

النجدة .. هناك مجزرة .. النجدة يا بوليس ..

ورأى شبه رجل يعدو بأقصى سرعة ، قاصدا شرطيين كانا يقفان فى منطقة مضاءة ، واشار لهما فى اتجاه

سيمون والرجلين ، ثم اختفى وهو يضم الى صدره المظروف الذى التقطه أثناء العراك .

وكان هذا هو الرجل الغامض الذى يعيش فى ظل فيكى منذ نيويورك ، الرجل ذو اللحية الذى تتبع الرحلة ، ثم تحركات الفتاة عند خروجها وعودتها .. وتدخل القديس فى الموضوع ، ودخوله غرفة فيكى واستيلاءه على المظروف الذى سحبته من البنك .. هذا الرجل المجهول تتبع سيمون ، وشاهد العراك ، ورأى تمبلار يرمى المظـروف على ارض الشارع ليضلل الرجلين .. فالتقطه ولاذ بالفرار .

وعاد ذو اللحية الى فندق تاجوس ، دون ان يلاحظـــه احد ، حاملا الخطاب الذى سعى اليه جيجار من نيويورك ، والذى تبحث عنه المخابرات الامريكية ، مستعينة بتمبلار والذى تسبب عنه قتل فريدا او ليفيرس . او ليفيروس .

وهجم الشرطيان على القديس ، وشللا حركته ، ومنعاه من اللحاق بالرجل الذى استولى على الخطاب .

وهدده احدهما بمطرقته ، واشهر الثانى مسدســـه فى وجهه .. وقال لهما القديس :

ـ اهنئكما على وصولكما بسرعة ! ولكنكما لم تصـــيبا الهدف لسوء الحظ

وضحك اكبرهما سنا وقال :

ـ لاشك انك برىء ، اليس كذلك ؟ ومن القى بالرجلين على الارض .

واشار باصبعه الى بدرو وزميله تولو ، وكانا يستردان وعيهما ببطء ، وهز سيمون منكبيه واجاب :

– لقد هاجمانى ، وجئتما لتدافعا عنهما ..

وأدرك الشرطى من لهجته انه أجنبى ، فطلب منه الاطلاع على جواز سفره واخذ يراجعه ، ويقـــارن بين الصورة المثبتة عليه وبين شكل تمبلار ، على ضوء مصباح قريب ، وقال سيمون :

– الا تريان اننى سائح ؟ أى طريقة غريبة لاســتقبال السواح الذين ينقلون دولاراتهم فى بلادهم .. لقـد اراد هذان اللصان سرقة حافظة نقودى .. واشار عليهما قائلا :

– انظرا كيف يتصرف البريئان !

وكان اللصـــان قد انتهزا فرصـــة الحديث واطلقـــا لسيقانهما العنان ، ولاذا بالفرار وسط الظلام .. ورفـــع الجندى يده بالتحية مرددا عبارات الاعتذار .. ثم انطلق يعدو فى أثر اللصين ..

ولم يتحرك القديس ، فقد اتجهت المسألة فى تيار غريب .. واصبح عليه استرداد الخطاب الذى كتبه كينيان لابنته ، ووضع يده عليه بأى ثمن .. ولم تكن هناك حاجة الى ذكاء خارق لكى يدرك ان الرجل القصير القامة البدين الذى كان يصيح طالبا النجدة هو الذى سرق الخطاب .

لذلك كان لابد من الحصول على المظروف ، بأى ثمن ، وكذلك الحصول على السارق ايضا .

ولابد من الكشف عن الخصوم اولا ، ثم اشعال نار

وعاد القديس بخطى بطيئة الى فندق تاجوس ، وكانت الحوادث تتلاحق بسرعة بعد ان احس الخصم باشــتعال المعركة .. وادرك سيمون من تحليله لعناصر المغـــامرة المختلفة ، ان هناك جماعات مختلفة ، تتخاصم وتتنافس ، الخصومة بينهم ، وتحريض البعض على البعض الاخر ، وجنى ثمرة هذا التنافس .

وتنهد تمبلار وقال بصوت خافت :

ـ أما الان .. فالورقة الرابحة بين ايدى الاخرين !

الفصل السابع

اصطحب جيجار ضيفه الى مطعم « كازا استريلا » . وهو من اشهر مطاعم العاصمة البرتغالية .. وبذل جهده لابعاد الهموم عن الفتاة ، فأخذ يفيض فى وصف جمـــال لشبونة ، ووصف الشاطىء ، والغابات ، والحياة القاسية لسكان الجبال وشجاعة الصيادين .

ولكن فيكى كانت منصرفة الى التفكير فى أشياء اخرى ، وانتظر جيجار الى نهاية العشاء لكى يبدأ هجومه قائلا :

ـ اصارحك القول يا فيكى .. واسمحى لى ان ادعوك باسمك مجردا ، فأنت حديثة السن ، وانا رجل عجــوز بجانبك .. مثل والدك !

فتفرسته ولم تجبه ، فابتسم ابتسامة قصيرة ، واستأنف الحديث ..

- هل تفكرين فى فريدا ؟

- نعم .. فاننى متضايقة لافتراقنا على هذا النحو ، ثم ..

وترددت ، فانحنى ، عظهرا مزيدا من التودد ، كما ان النبيذ الجيد ، والطعام الشهى ، ساعدا على استسلامها .. فقالت :

- كنت بحاجة الى نصيحة ، وكان باستطاعة فريدا ان تؤدى لى خدمة كبيرة .

وتجاسر ، فربت على يدها ، وسألها :

- هل انت مطمئنة تماما الى صديقتك ؟ فان غضبها السريع على النحو الذى فعلته لم يكن دليلا على التعقل كما ان تخليها عنك فى نفس اللحظة التى كنا فيها على وشك الخروج دليل على انها لا تتعلق بك بالقدر الذى تتخيلينه .. الا اذا كانت تخفى عنك فكرة ..

ولفظ العبارة الاخيرة بمهارة جعلت فيكى تقع فى الفخ رغم حذرها ، وتصميمها على ان تكون جديرة بثقة ابيها ، فلم تكن حمل الصراع .. وقالت بحرارة مدافعة عن صديقتها :

- كلا ! انا التى لم انصفها ، فلولا مساعدتها ، وحسن

تصرفها ، لكنت فى نفس الموقف الحرج الذى الم بى عند سفرى ..

وطبع جيجار ابتسامته بطابع الحماية والعطف وهو يقول :

- اننى لا افهم قطعا شيئا من شقاق الفتيات . ولكن اسرارك الكثيرة تسبب لى القلق قليلا ..

- السر الوحيد هو ان فريدا قادتنى الى المكان الذى كان ينبغى على ان اقصده .. فهى التى ارتنى الطريق ، وبفضلها اصبح فى يدى سلك موصل .

وضحك ببساطة وقال :

- اننى لا افهم شيئا يا عزيزتى فيكى ..

- اعلم اذا اننى استلمت خطابا .. ولا استطيع ان ابوح اكثر من ذلك ..

فقاطعها بقوله :

لا اطالبك بشىء ..

ولكنها كانت شاردة الذهن ، كما لو كانت تخاطب نفسها ، ملتمسة المعاذير وتابعت الحديث :

- انه خطاب غامض .. ملغم بالديناميت .. وبدلا من أن أطلع فريدا عليه عندما اصبح فى يدى ، رفضت بالرغم من حقها في ذلك ، كما لو كانت غريبة عنى ، ناسية

مساعدتها لى ، وفطنتها التى هـــــدتنى توا الى مكان الخطاب .. ولذلك فأننى لا اكف عن تأنيب نفسى منذ تلك اللحظة ..

ومال جيجار الى الخلف وأمسك بكأسه .

وتأمله وهو يديره بين أصابعه وقال بسخرية عابرة حتى لا يحرج الفتاة :

- يا لها من قصة غامضة .. اننى أشعر باضطراب ..

فالقت عليه نظرة فاحصة .. فمال عليها ، وهو يشعر بأنه قادم الى النقطة المرغوبة .. بعد أن اصبحت كالفارة الصغيرة التى استسلمت لمخالب القط .. وقال :

- لماذا لا تبوحين بسرك لصديق ؟

- لو كان ذلك باستطاعتى ..

- تذكرى أن هناك كثيرا من المشاكل تبدو مستحيلة الحل عندما يكون الانسان وحده ، ولكنها تصبح سهلة عندما ينضم اليه شخص آخر ، اذ يتشاوران ويفحصان المشكلـــة ،فيبدو الحل ..

- هذا صحيح .. ولكن للاسف ان الامر يتعلق بمشكلة خاصـــة ..

فابتسم من جديد قائلا :

- كل المشاكل خاصة . ولكننى .. الست صديقا من نوع خاص ؟ اننا نعرف بعضنا منذ أمس فقط وقد جعلنا الاستلطاف المتبادل نتقارب وأريد أن اساعدك .

وحدقته بعينها السوداوين ، وعضت على شفتها السفلى وتمتمت كما لو كانت تخاطب نفسها ..

- ولكننى لا أعرفك الا منذ قليل يا مستر جيجار ..

- وهذه ميزة اضافية يا عزيزتى . وليس عليك الا ان تكشفى لى عما تريدينه فقط وساجيبك كما يفعل الطبيب .. أو المعترف ..

وبالرغم من ترددها ، فقد كانت تشعر بتشوش منذ فارقتها فريدا بغتة ، وأحست بالعزلة فى بلد أجنبى دون سند ، أو مرشد .

ولم يكن هذا الرجل يعنى شيئا بالنسبة لها حتى الامس، ولكن بوسعه ، على أى حال أن يقدم لها نصيحة . وعليها الا تقدم الا العناصر السطحية ..

وقال جيجار :

- لو اقترحت عليك خطة لا تروق لك ، فليس هناك من يحرم عليك رفضها ، والتصرف كما يروق لك . امـــا اذا وفقنا الى فكرة بناءة ، فسيطمئن بالك ، ويستقر أمنك . لا تقدمى الى أية تفاصيل .. هل لك ..

ولاح عليها انها رضخت ، فأنم عبارته ..

- حقا انه ليس هناك ما يسمح لى معرفة قرار هذا السر الكبـــير .

وتكفى الجوانب التى تبدو لك مغلقة ، أو مبهمة .

وفى هذه المرة كانت فيكى قد اتخذت قرارها فقالت ..

- حسنا .. تصور أنك وضعت يدك على دليـل .. أو اثر .. يجعلك مالكا لثروة كبيرة بين يوم وليلة ...

- حقـا ؟

فاوضحت بقولها .. كنز مدفون مثلا .

فقال بصوت خافت .. - صناديق القرصان مورجان ..

فقطبت حاجبيها وقالت .

- لا يهم .. فالمشكلة فى نظرى الان هى انه ربمـا لن يكون لى أى حق فى الحصول على ذلك الكنز .

فقال بدهشة ... - اليس لك أى حق ؟

واجابت بأبتسامة حائرة :

- نعم .. فقد يدعى الحق فيه قوم مجهولون .. حكومة لا ادرى من هى .

وحدقت فيه تنتظر نصيحة ، بعد ان ادارت السؤال فى رأسها الجميل طوال اليوم وهنأت نفسها على رجاحـة عقلها لأنها لم تفض لكورت جيجار بمعلومات رئيسية .. وقالت :

- ماذا كنت تفعل لو كنت مكانى ؟

فنظر اليها طويلا ، وتظاهر بالتفكير ، وهز راسه مبينا اهتمامه ، حتى أنه أحرز التأثير المرغـــوب على فيكى عندما تكلم ، قائلا ..

- لن اتردد . استولى على الكنز .

وكتمت قشعريرة قصيرة وهى تواجه كل ما تحتمـــله اجابة هذا الاجنبى من اخطار مجهولة .

واستأنف جيجار حديثه ..

- ماذا قلت تماما لصديقتك الظريفة مس او ليفيروس عن هذا الكنز ؟

وارتعدت اذا ادركت ما يعنيه من اتهـــــــام لفريدا ، فاجابت ..

- كلا .. انها لا تعرف شيئا البتة . ان كل ما تعـــرفه هو وجود خطاب يتيح لى العثور على .. هــذه الثروة . ولم اقل اكثر من ذلك لفريدا .

فتنهد وقال .. - يحدث احيانا ان تفلت من الانسان كلمات .. افرضى ان فريدا وضعت يدها - بغير علمك على هذا الخطاب وقرأته .. فقاطعته فيكى بصوت مخنوق :

- كـــلا .

واستمر جيجار فى حديثه ، متجاهلا مقاطعة فيكى ..

- فهل كان فى مقدورها الوصول الى ذلك المكان الذى تختبىء فيه هذه الثروة الغامضة ؟

فهزت الفتاة منكبيها ، وحدقت فيه بشـــــكل غريب وتمتمت ..

- اظن ذلك .. ولكن ...

فقال بصوت رحيم .

- تكلمى يا ابنتى .

- ليس هذا هو ما يشغلنى ٠
ولم تضف شيئا ٠

وتركها جيجار تستعيد هدوءها فقد اصبحت الفتـــاة الساذجة فى قبضته تفضى اليه شيئا فشــيئا بكل ما تريد معرفة وجعلها ايحاؤه لها بالخوف من اختـــــلاس فريدا لسرها تمعن ثقتها به ٠٠٠

وعاود جيجار الحديث ٠٠

- كان الحق معك ٠ فان خطابك فى الحقيقة محمـــل بالديناميت ٠ ومن الحكمة الاتدعيه فى مكان غير امين ٠ فمن يدرى ما يدور عليه فالثراء شىء محبوب والحيـــاة اكثـــر ٠

وهزت فيكى شعرها الاسمر ، وقالت ٠٠

- لقد فكرت فى ذلك ٠

- انك تشكين يا فيكى فى صداقتى ٠ ولكن ثقى اننى لا اسعى الى معرفة المكان الذى خبأت فيه خطابك الثمين ٠ ولكننى احذرك فقط يا فيكى ، مادمت قد قبلت نصائحى من ان تستولى فريدا ، او غيرها على الخطـــــاب لانه سيسبقك الى المكان الذى يختفى فيه الكنز ٠٠ هـــذه هى الحقيقة ٠

فقالت بتأكيد ســبب الكدر الحقيقى هـــذه المرة لجيجــار :

- كــلا ٠

ثم أضافت :

- أصغ الى يامستر جيجار ٠٠٠ لقد أدركت بعد ان قرات هذا الخطاب ،وأعدت قراءته ان هناك فقرة واحدة أساسية

فى الموضوع . وبدونها لن يتمكن احد من وضع يده على الكنز هل فهمت ؟ فقرة واحدة .

وسألها جيجار ...

- وهل أتلفت الخطاب ؟

وكان يتمالك أعصابه ، باذلا جهدا مضنيا حتى لا يحطم رأس فيكى ، الجميلة امام كل ربائن كازا استريلا .

واشرقت بضحكة خفيفة وقالت ..

انك لم تحرز الامر تماما .. فقبل رحيلى من نيويورك كنت متأكدة اننى موضع رقابة ، وتعقب ، وكان الخطاب يشكل نوعا من الحماية لى ولذلك فأننى احتفظ به ، عدا تلك الفقرة .

- وماذا فعلت بها اذا ؟

- قطعت نهاية الصحيفة ، وحفظت الفقرة عن ظهر قلب ثم ..

- ثم ؟

- حرقت الورقة .

وبلع جيجار ريقه وهو يلعن الفتاة فى سره فلا بد اذن من استعمال الوسائل اللازمة لحملها على الكلام .

ولكنه كان قد صمم على المضى حتى النهاية . وسيطر على أعصابه فلا فائدة من استعمال القسوة الان والافضل الاحتفاظ بالمظهر الودى واظهار العطف والحماية .

وخرج الاثنان بعد بضع ثوان من كازا استريلا ، وسار جنبا الى جنب على افريز مضاء ، وقد ساد الصمت بتأثير محادثتهما . واخيرا قال جيجار بصوت عال كانه يترجم افكاره .

- اسمعى يا فيكى .. لاشك فى انك ستكشفى لى عن هذا الكنز وسيكون لك عما قريب .. متى انهيت نقاشك مع ضميرك .

فلم تقل شيئا ، وهى تسير بخطى صغيرة بجانبه ، حاسرة الرأس وكانت الليلة هادئة ، صافية مختلفة تماما عن ليالى مانهاتان الساخنة واستأنف جيجار الحديث .

- ستكون مغامرة مثيرة لن تبرح ذاكرتك طوال الحياة ولو انك أجبرت أخيرا على عدم الاحتفاظ بتلك الثروة ، فسيكون لك الحق فى المطالبة بتعويض .. فهذا امر شرعى .

وكانت نصائحه هذه تنطوى على الحكمة ، طبقا للاتجاه الذى اختاره هو ، وقالت فيكى :

- ربما ، ومازال الوقت متسعا امامى لافكر فى كل ذلك .

- حسنا .. ولكن ، الى ان تتخذى قرارك الاخير للمغامرة فلن تعكرى اقامتك ، او اقامتى فأننى احرص على ان اكشف لك عن جمال هذا البلد . وبوسعنا ان نذهب الى « بورتو » وزيارتها تستحق العناء ، فستروق لك كثيرا وسنستأجر سيارة و ...

فقاطعته بحماس كما لو كانت قد اتخذت قرارا مفاجئا .

- شكرا .. فساتابع سفرى .

- ولكنك قد وصلت منذ قليل .

- الم تلاحظ طريقتنا نحن السياح الامريكيون .. اننا نكتفى بالقاء نظرة عابرة .. ونحن فى سباق مع الزمن .

- وما هي المحطة التالية ؟

ـ سويسرا وسأبقى فيها الوقت الكافى لترتيب الامور ، ثم اخيرا .

ـ غير معقول ؟ اذاهبة انت الى سويسرا ؟ يا للعجب فسألت الفتاة فى حذر مفاجىء :

ـ ولماذا ؟

ـ لا شىء الا أن تلك هى وجهتى . ولا تنسى أننى وكيل لمصانع الساعات الكبيرة وقد انهيت تقريبا مهمتى فى البرتغال واردت البقاء بضعة ايام اضافية ولكن بشرط ان تولينى سرور مرافقتك فى النزهات . اما ان ابقى وحدى فلا بهجة فى ذلك . والافضل ان اعود الى وطنى ، واعمالى ، ووداعا للاجازات .

وشهق بفرح وهو يضيف :

ـ ولعلنا نلتقى هناك ..

فقالت بغير بشاشة : ربما

وكانت قد كشفت عن رفيقها امرا يدعو الى الشك . وعندما اجتازت عتبة الفندق ، التفتت اليه قائلة :

ـ طاب مساؤك يا مستر جيجار ، وشكرا على هذه الامسية .. فقد كان العشاء فاخرا ، والامسية حافلة .

ـ أرجو الا أكون قد اثقلت عليك بنصائحي التي تحمل روح الرجل العجوز .

- بتاتا . بل لقد كان تصرفك فى قمة اللياقة .

واحتفظ بيدها الصغيرة لحظة فى يـده ، اذ لم يرغب فى الافتراق عنها تحت تأثير مزيف .. فقال :

هل تظنين انه بوسعنا ان نتقابل غدا ؟

- لا ادرى الان . فأنا اعتزم تدبير رحلتى .

وظل مبقيا على يدها ، وهو يتطلع بعينيه الرمـاديتين فى عينيها السوداويين ، وتمتم بنهجة تعبر عن فطنتـــه العميقة ..

- حذرا يا فيكى .. احرصى على نفسك .

الفصل الثامن

ردت فيكى تحية عامل المصعد بابتسامة لطيفة وقصدت غرفتها وهى تحس الدوار من ضغط الموقف عليها ، وبدلا من ان تسترد الطمأنينة ، وهدوء النفس من ابتســامات جيجار ونصائحه ، زاد قلقها ، وتضاعفت مخاوفهـــا . وادارت المفتاح فى قفل الباب ودفعته ثم دخلت ، ولكنهـا تذكرت ما كانت تقرؤه دائما عن الحذر فى الظـــلام ، فاضاءت النور قبل ان تتوغل فى الغرفة .

وأصيبت بالذهول ، ووقفت جامدة على عتبة الباب ، بقد رأت رجلا جالسا على كرسي كبير ، يدخن سيجارة في

هدوء ، غير عابىء بالظلام الذى كان يسود الغرفة قبل ان تضىء هى ، وكأنه جالس فى غرفته ، وكان طويل القامة ، منسق الجسم انيق الملبس ، قوى العضلات ، نافذ البصر .. وتقدمت فيكى خطوة وسألته بصوت خائر :

- ماذا تفعل فى غرفتى ؟

فابتسم لها الغريب ابتسامة جذابة ، تجمع بين الشباب والاغراء ، وقال :

- طاب مساؤك يا فيكى .

فسألته الفتاة بغضب :

- من انت ؟

- ان مثل هذا السؤال يقتضى الانتظار بضع لحظات يا فيكى وأرجو أن تغلقى الباب والا ساءت سمعتك ، مما يجعلنى أيأس ..

وفغرت فيكى فمها ، واحست فجأة بالاستسلام رغم ثورتها الداخلية ، فقد كان للرجل سلطان غريب وبدلا من ان تستغيث او تدق الجرس لاستدعاء الخادم ليخرج هذا الدخيل اطاعت نصيحته ، واغلقت الباب ، فحياها وقال يطمئنها :

- كنت على يقين من ذكائك يا فتاتى .. ولكن لا ترتعدى فلست خطرا .

- فقالت بغضب : اننى لا ارتعد .

- اننى احب الفتاة الشجاعة التى تجمع بين البسالة والحذر .

وكان يفحصها وقد بدت له عن قريب اكثر جاذبية وفتنة ، مما تصورها عندما رآها فى فتحة الباب .. وقال بصوت صادق :

- اننى اعرفك يا غيكو ، وانت لا تعرفيننى ، ولذلك اقدم نفسى حتى تطمئنى ، ان اسمى هو .. سيمون تمبلار .. ولعلك سمعت عنه من قبل .. وهم يدعوننى ايضا بالقديس .

فتمتمت : الا تخدعنى .. !

- - اليك جواز سفرى .

فتناولت منه جواز السفر لتفحصه ، وتذكرت بالرغم عنها حركات السنيور مانويل ، وطريقته الدقيقة فى فحص الجواز ، ومقارنته الصورة المثبتة عليه بالاصل ، ولكنها لم تفعل مثله ، فقد اكتفت بالقاء نظرة لاقتناعها بصدق الرجل .

وردت اليه الجواز وقالت بحق :

- حسنا .. انت سيمون تمبلار ، فهل يبرر ذلك الطريقة التى دخلت بها الى هنا ؟

فقال دون ان يبتسم :

- حرصت على الايرانى احد ، اتجنب الخطر الذى قد

نتعرض له فى العمل الذى يشغلنا .. انت وانا ..

فقالت بصوت ودى :

- ان الامر يقتضى بعض الشرح .

وجلست تستعرض الاحداث السريعة التى تلاحقها منذ اختفاء فريدا ، والحديث الطويل مع جيجار ، ثم دخول هذا الرجل الغريب فى حياتها بطريقة شاذة وقالت له : ها انا انصت لك .. لماذا لم تنتظر فى الصالون وترسل لاستدعائى ؟ هذا ما كان بفعله أى انسان آخر ..

- اننى واثق يا مس كينيان انك على علم خاص بالموضوع .

وساد الصمت لحظة ، مما جعل الرجل المنتحى يقطب جبينه . وكان جالسا فى الغرفة رقم ٣٠٤ يلتقط الحديث الدائر بين تمبلار وفيكى بواسطة جهازه الدقيق .

وتنهد سيمون ، وهز منكبيه كما لو كان قد يئس من قلة الذكاء الذى اظهرته واطلق سحابة طويلة من دخان سيجارة قبل ان يقول :

- هذه هى المرة الثانية التى ازور فيها غرفتك يا فيكى .

- الثانية ؟ ولكن ..

- أتريدين القول انك وصلت اليوم فقط ، هذا صحيح ولكنه لا يغير من الواقع فقد كانت زيارتى الاولى بعد خروجك للعشاء .. وحدك كما اظن ؟

ولم تجبه ، محاولة الاحتماء بالصمت ، واستأنف سيمون الحديث ..

- عند دخولى الى هذه الغرفة قمت بالبحث عن خطاب .

وتابعت فيكى صمتها بالرغم من أنها غرزت اظافرها فى راحتبها وهى تفكر فى نصيحة جيجار الذى تنبأ بأن المحاولات ستبذل لسرقة خطاب أبيها وشجعها القديس بابتسامة . وقال :

- أنك لا تصدقيننى ؟ اليس كذلك ؟ اذا كنت تشكين فى كلامى ، فانه يكفيك القاء نظرة على المخبأ الذى وضعت فيه الخطاب فلن تجديه فى مكانه .

فمدت فيكى يدها وقالت :

- حسنا اعطنى اذن هذا الخطاب .

فنظر اليها دون ان يتوقف عن الابتسام ، فقد كانت هذه الفتاة تروق له ، مظهرها الجاد ، محاولتها اظهار قوة الارادة والتصميم ، فى حين انها كانت فى قرارة نفسها خائفة ، وود لو ضمها بين ذراعيه لتحس بالاطمئنان والحماية .

وتنهد سيمون مرة أخرى وقال :

- لو ان هذا الخطاب فى حوزتى ، لاعطيته لك على الفور .

فاجفلت وقالت : اليس معك ؟ لقد قلت الان ..

ـ نعم .. لقد وجدته ، ولكننى نلاسف ، رأيت ، بعد قراءتى لمقدمته ، انه من الحكمة ان اغادر الغرفة ، فوضعته فى جيبى وخرجت ، وتصورى أن رجلين كانا يذرعان الممر ، وهو أمر غريب كما ترين . وقد أدركت للتو انهما كانا ينويان الدخول الى هنا .. نعم نعم .. كلاهما .. وربما لنفس الغرض وهو الحصول على الخطاب .. فاستدرجتهما فى أعقابى فسارا فى أثرى ، كما اردت لاكشف عن حقيقتهما .

فصاحت فيكى بفروغ صبر : اتم الحديث ..

ـ اعلمى شيئا يا فيكى كينيان لأننا سنتقابل كثيرا ، فما من احد استطاع حملى بأسرع مما قررته على نفسى .

والان .. استأنف الحديث .. وهكذا سار الرجلان خلفى فى زقاق قريب من هنا ، وبادرنى أحدهما بالسؤال فى اصرار لمعرفة ما كنت افعله فى غرفتك ، وطلبا منى ان اعطيهما هذا الخطاب ، واشتبكا فى عراك هزما فيه ولاذا بالفرار .. وكان الخطاب قد وقع من جيبى خلال حديثنا .. وعندما انحنيت لالتقاطه .. وهنا ..

وتوقفت بحركة مسرحية بارعة ، وبذلت فيكى مجهودا لكى تتمالك أعصابها .. واستمر هو :

ـ نعم اعترف اننى دهشت دهشة لا حد لها ..فلم يكن هناك أثر للخطاب على الارض .. الخطاب الذى يحمل

اسمك يا فيكى بحروف بارزة . فاذا كان البعض قد عثر على هذا الخطاب لاسرع ليرده اليك ، كما يقضى المنطق فهل حدث هذا ؟

- انك تسخر منى ..

فهز رأسه بحزن وقال :

- كم كنت أود ذلك يا عزيزتى .. ولكننى للاسف .. ان ما اقوله هو الحقيقة .. لقد بحثت عنه بعناية بينما انطلق شرطيان فى أعقاب الرجلين ، ولكننى تأكدت من أن الخطاب قد اختفى .. تبخر .. أو اختلس بيد خفيفة . فهل باستطاعتك استنتاج حقيقة جديدة ؟

- ماذا تعنى ؟

- وجود لص ثالث ، انتهز فرصة انشغالى مع الرجلين الغريبين ، للاستيلاء على الخطاب .. هل باستطاعتك استعراض الحقائق الان ، فمن جهة .. هناك فيكى كينيان وصديقتها فريدا اوليفيروس ، التى اتساءل عن سبب عدم وجودها بصحبتك هذا المساء .. ومن جهـــة أخرى .. هناك رجل يدعى كورت جيجار الذى يبدى لك استلطافا ؛ مشكوك فيه .. ومن جهة ثالثة هناك لصان نالا عقابهم على يدى .. واخيرا ، بالاضـافـــة الى هذا ، يوجد شخص مجهول هو الذى استولى على الخطاب .

فقالت بخشونة :

- لقد نسيت نفسك ..

- نعم ، وأنا .. الذى أوجه اليك السؤال التالى .. ماذا يحويه ذلك الخطاب من اشياء هامة ؟

فضحكت ، ضحكة مريرة ، قصيرة وقالت ..

- معناه انك تقوم يا قديس بدور اللص الخامس .

ولم يجب سيمون ، واقترب من النافذة المفتوحة على الليل ، وجال بنظره فى الجدار المظلم ، متأملا هدوء المدينة ، والاعلانات الضوئية التى تشع فى الافق والضجة المكتومة المتصاعدة من قلب لشبونة . ثم دار على عقبيه وواجه الفتاة قائلا :

- لو كانت عندك مقدرة التفكير يا فيكى ، فحاولى ان تجمعى بعض الافكار .. الا يحتمل ان يكون الرجل ، او المرأة ، الذى استولى على ذلك الخطاب ، منتهزا فرصة العراك هو نفسه الذى دبر ذلك العراك .. ولكن لا أهمية لذلك ، بل الاهم .. من هو ذلك المجهول ؟ ولماذا يخفى حركاته الى هذا الحد ؟ أما انا يا فيكى .. فقد كشفت عن أوراقى فى مواجهتك .

- لعلك ستقول ايضا ان طرقك عادية جدا ؟ الا تذكر كيف دخلت الى هنا يا مستر تمبلار ؟

فقال بخشونة :

- كان يجب ان ابقى خارج الحلبة اطول وقت ممكن لحمايتك ايتها الغبية الشابة وانت الوحيدة الضائعة فى

هذه اللعبة البـــارعة . فتوقفى عن لعبهـــــا اذا اردت الا تخسريها .

فقالت بلهجة الاحتقار :

- ان خوفك يثيرنى .. فانت أحقر من الآخرين . ان كان لهؤلاء وجود حقا . لقد كشفت عن اختفاء جـــزء من الخطاب ، واخترعت هذه القصة من أولها الى آخرها لكى ابوح لك بسرى وافضى اليك بالفقرة الاساسية التى لم ترد ضمن الخطاب .

وكانت تتكلم بصوت عال يشبه الصـريخ ، فحــــاول تهدئتها قائلا :

- لقد قلت لك الحقيقة .. لم يتسع لى الوقت لقــراءة ذلك الخطاب . كما اننى ..

وقهقت بضحكة تعبر عن الاحتقار ، واعتقادا منها بأنها تشهد فصلا مسرحيا واحست بانها اقوى من المغامر وقالت:

- اتعتقد يا سيمون تمبلار بانه لا يمكن التغلب عليك ؟ ولكن دهاءك قد خيط بخيط أبيض .. الا فأعلم ان الجزء الخاص من الخطـاب قد أبيد .. أحرقته أنا بيدى . ولن تعرف فحواه . لا انت ولا أى احد آخر .

وكان سيمون يستمع الى الفتاة . وتنبه فجـــأة الى خطورة الموقف ، وبدأ القلق فى نظراته ، وقال :

- لو انك فعلت ذلك يا فيكى ، فان حياتك لن تكون مثل هــذه ..

وأمسك بيده ناموسة كانت تدور حول راسه ، تم فتح اصابعه ، وظهرت بقعة رمادية تدل على موت الناموسة على راحة يده واستأنف الحديث :

- ليس المـــوت بالشيء المخيف يا فيكى . ودرجت اواجهه دائما حتى لا يجعلنى أرتعب ولكن هناك اقـــدار أشد فزعا .. فلو عرف الاخرون انك تملكين مفتـــاح المغامرة ، وهو سر الخطاب . فسيجبرونك على الكلام . وهناك وسائل فعالة لتعذيب الناس .. مثل المصباح الذى يلهب العينين ، والجرس الذى يخرق طبلة الاذن ، والماء البارد ، والشعلة على الحنجرة ..

وكانت تنصت له وهى ترتعد ، ولكنها شدت قبضتهـــا فى محاولة للدفاع عن نفسها من هذا الصوت المزعج وتابع القديس حديثه ..

- مصير والدك . لقد اختفى الماجور كينيان . اين هـو الان ؟ فى معدة السمك السابح فى قاع البحـــر ، او لعله استحال الى جثة صامتة فى بعض المنـــاجم النائيـة . وستختفين انت بنفس الطريقة اذا لم تأخذى حذرك .. وهذا هو مصير الذين يكتنزون معلومات كثيرة .

فهزت منكبيها ، رافضة الانصات له اكثـــر من ذلك ، لذلك قررت وقفه عند هذا الحد ، فقالت له :

- وانت يا مستر تمبلار ، الن تختفى عندما تختلس ما املكه ؟ ان شخصيتك معروفة وباستطاعة الاخـــرين ان يشيدوا باسمك . فهناك من يخدعون في امرك ويزعمـون

انك تائب ، وانك تخدم الحكومة من وقت الى آخر أما انا فيكى كينيان ، فانني باسم ابى - لا اعتقد فى ذلك .

وسمع الرجل المستمع بالجهاز الدقيق فى الغـــرفة رقم ٣٠٤ وقع كعبى الحذاء النسائى ثم صوت الفتـــاة وهى تصيح آمرة ..

- ارجو ان تخرج يا مســـتر تمبـــلار بارادتك . ولا تجبرنى على استدعاء الخادم ليلقى بك خارجا .

ولم يعترف سيمون بهزيمته ، بل ظل يقاوم ، وهـــو يرأف بالفتاة وقال لها :

- لقد انصت لك يا آنسة ، ولو كنت فى موقفك لـــ ..

فقاطعته بضحكة احتقار :

- اننى اصدقك يا مستر تمبلار .. فلا احد يجهـــل ان القديس من لا يلقى مشقة فى الهرب بعد ان يضع يده على ممتلكات الغير .

- هل انت واثقة يا فيكى من ان تلك الثروة هى ملكك؟

فتذكرت السؤال الذى القته من قبل على جيجار ، عما اذا كانت هذه الثروة ملكا لها فعلا ، ولكنها تمالكت نفسها وقالت :

- ان ما أعرفه عن تلك الثروة يعطينا حقا عليها . ولا اظنك تريدنى ان افقد هذا الحق من آجل القديس .

- كما تريدين .

واتجه اليها بخطوات بطيئة ، وقال لها :

ـ لك الخيار فى ان تلعبى دورك ٠ ولكن اذا نعقــدت الامور ، فباستطاعتك دائما الالتجـــاء الى ٠ واعـدك بالحضور فورا وسأحاول الا اظهر حقدا ٠

فقالت بغضب :

ـ لا تتوقع ذلك ٠٠ فاننى لا اصدق كلمة واحــدة من قصتك عن المعتدين المجهولين والمظروف الذى اختلسه فيها رجل آخر ٠٠ لقد اردت خداعى ، فاغرب عن وجهى ٠٠

وخرج سيمون ، وسمع الرجل ذو اللحيــة صوت قرع الباب بجهازه الصغير ، وارتسمت على وجهه الجـــامد ابتسامة الرضاء ، اعجابا بغباء هؤلاء الفتيـــات ، وكان يخشى ان يتمكن تمبلار من اقناعها ٠ ولكن الفتــاة ظنت انها تستطيع الانتصار وحدها ٠ وجلس الجاسوس يعيــد قراءة الخطاب ، دارسا كل عبارة فيه للمرة المــائة وكان الطريق ممهدا امامه ، فالكل يؤدون له خــدمات دون ان يعرفوا ، حتى جيجار ، كان يخدمه دون وعى منه ، ويكفى انه ازاح فريدا عن الطريق ٠ اما مصير جيجار نفســه ، فسيسوى ٠

وكان كورت جيجار ، الذى ظل فى سباق مع مجهولين٠ قد التقى ببدرو فى بار « كازاتاجينى » ، الذى لا يطرقه الا قلة من الزبائن لا هم لهم الا مراقبة حركات بعضهم ٠

وقطب جيجار حاجبيه عندما رأى البرتغالى متجهما وسأله :

فحرك بدرو يده معبرا عن تضايقه وقال :

ـ لقد تعقبنا رجلا فى فندق تاجوس بعد ان رأيناه يخرج من غرفة الفتاة •

ـ ما هو شكله ؟

ـ رجل طويل القامة ، قوى العضل • وقـد فهمت ، انا وتولو ، على الفور انه استولى على الخطاب ••

ـ وهل تركته يمضى فى طريقه ؟

ـ انك تعرفنا يا سيدى جيد المعرفة •• لقد تتبعنـا خطواته حتى فاجأناه فى احد الشوارع الهادئة ، وطلبنا منه بأدب ان يعطينا الخطاب • ولكن البوليس وصل على الفور ، ولم نتمكن من الحصول على الخطاب • ورأينـا انه من الافضل ان ننسحب •

ـ خسارة •• على أى حال ، لقد حصلت على معلومات هامة ، فلا اهمية تذكر للخطاب ، وكذلك لم تـكن فريدا على علم بفحواه •

وحدق فيه بدرو باهتمام ، وكان مظهره مخيفا عنـدما سـأله ••

ـ ساستجوبك اذن •

وتقلصت شفتا جيجار وأدرك ما يجول بخاطر شريكه ، فقال :

ـ لم اعد بحاجة اليه يا بدرو وسأتابع هذا الموضـوع وحدى • وما عليك الا ان تصف لى بالتدقيق ذلك الرجـل الذى انتصر عليكما فى المعركة •

وعض الاخر شاربه عضا خفيفا ، وبحث فى احـــــد جيوبه ، واخرج سيجارا من الصنف الاســـــود الردىء واشعله ثم قال مبتسما ..

ـ لم اعد بحاجة اليك يا بدرو وسأتابع هـذا الموضوع يساوى الكثير ؟ لو ان اسماك الخليج نطقت ..

ولم تتأثر اسارير جيجار الجامدة بالاشارة الى فريدا ، فاخرج من جيبه رزمة من اوراق النقد ومدها للاخر قائلا ..

ـ كن حكيما يا بدرو ولا تطلب اكثر من ذلك .

ـ لم يكن العراك مع ذلك الشخصى مدرجا فى جـــدول الاعمـــال ..

ـ صفه لى وصــفا دقيقــا أستطيع الاســتدلال به عليه وسارى اذا كان ذلك يستحق اجرا اضافيا .

فهرش بدرو عنقه ، ثم اخذ يصف ســــيمون بقدر ما يتذكره ، مكررا انه طويل القامة قوى العضلات .. واضاف

ـ اما عيناه يا زعيم ، فيبدو ان الشيطان يبرق خلالهما .

ـ اهى صفراء تلك العيون اذن ؟

ـ كلا . بل هى زرقاء اللون ، وكانها شــعاع الموت ، فهى تثير الرعب أكثر من مسدسين مشهرين .. ومع ذلك فقد كان سيأتى معى وكنت متأهبا لممارسة اختصــاصى

واحتفظ بتلك المعلومات ، فلو التقى بالمجهـــول فى

طريقه ، فلن يجد صعوبة فى الخلاص منه · وناول شريكه ورقة نقدية اخرى باطراف اصابعه قائلا ··

- لقد فرغت الخزانة يا بدرو ·

- هل تريد ان تبحث عن ذلك الرجل ؟

- لا جدوى من ذلك ··

والقى جيجار ببعض النقود على الطاولة · وغادر البار · وبقى بدرو برهة ، وهو يحس الحزن ·· فبالرغم من انه يعرف انه لن يتقاضى اجرا زائدا من ذلك الرجل ، الا انه ود ولو التقى بسارق الخطاب ·· ليهاجمه من الخلف

الفصل التاسع

جلس الكولونيل ويد يستمع الى تقرير سيمون تمبلار بانتباه شديد ، وهو جامد الاسارير واختتم المغامر تقريره قائلا ··

- النتيجة يا كولونيل ·· لسنا وحدنا على الحلبة · (وتفرس فى وجه الضابط بابتسامة عدم اكتراث) ولاشك انك كنت تشك فى ذلك ، والا لما استدعيت القديس ·

- ومن هم فى ظنك ، الرجال الذين هاجموك ؟

- انهما لصان استؤجرا محليا ، كما دل على ذلك مظهرهما ، وحديثهما · ومع ذلك فقد كانا يعرفان طريقهما ، كما انهما كانا يعرفان بقصة الخطاب ·

واخذ ويد يدق بأصابعه على طرف الطاولة ، بينمـــا راح سيمون يتسلى بهذا المنظر الذى لا يخلو من سخرية ، رغم دقة الموقف ، فقد كان النقاش يدور رسميا بينه وبين ممثل السفارة ٠٠

وقال سيمون :

يجب الا يفوتنا يا كولونيل ان كينيان كان ـ حتمـــا ـ واقعا تحت رقابة النازى وضغطهم سنة ١٩٤٥ فمن الجائز ان لم يكن من المحتمل ان الكثير منهم عرفوا بمشـروعاته وهذا ما يجعلنا نفترض انهم او خلفاءهم ، يجـــدون فى توصيل الحبل الذى قطع :

وهز ويد رأسه الذكية وقال :

ـ هناك فرض آخر هو ان احد اجهزة المخـــابرات ، العدوة او الصديقة ، قد علمت بالموضوع فأطلقت عميـلا ، او عدة عملاء لها فى اثر فيكى الشابة ٠

ـ تماما ٠٠ وبعضهم يصطدم بالاخر ٠ وعلينا ان نكون يقظين للتدخل فى الوقت المناسب ، لجنى الثمرة واستأنف ويد الحديث ليصل الى الهدف مباشرة ٠٠

ـ المهم فى الموضوع هو معرفة كنه السر الذى اخفـــاه كينيان بحرص شديد ٠

فتمتم سيمون :

ـ لعل عندى فكرة ٠

وجلس على عارضة الطاولة الكبيرة التى كانت تشغل وسط الغرفة ، وهو يهز ساقيه بحركة آلية مصوبا نظره الى الافق البعيد ، وتكلم بصوت خافت ، محاولا ترتيب افكاره ..

- لقد قررت الفتاة خطة للعمل .. وهى خطة خرقاء ، ولكن خوفها جعلها تندفع فى طريقها غير مكترثة بما قد يحدث لها . وقد عرضت عليها مساعدتى فرفضت لانها تظن فى نفسها القوة بحيث تتمكن من حل المشكلة وحدها . وقد حملتها خلال الحديث والمناقشة على كشف نفسها بتأثير الاثارة العصبية ، فأشارت ضمنا الى وجود كنز .

ولم ينطق ويد بكلمة واحدة ، وظلت عيناه تحدقان فى المغامر ، وتابع هذا الحديث :

- ويبدو ان لى شهرة فى تصيد الكنوز .. والكنز قد يكون اموالا ، او ثروة او مجوهرات ..

وتطلع الرجلان الى بعيد ، وقد شغلتهما نفس الفكرة .. كانا يعودان بالذاكرة الى سنة ١٩٤٥ ، عندما احس قادة النازى بنظام الحكم يهتز من اساسه واتجه تفكيرهم الى الهرب من مسئولياتهم ، واستحوز عليهم القلق على وسائل معيشتهم فى المستقبل .

وتمتم سيمون :

- كان هؤلاء القادة يخشون ان يموتوا جوعا .. ولك ان تستنتج انت بنفسك .

فصاح الضابط :

ـ انك توجه الاتهام الى كينيان .. فانت تريد القول انه كان على علم باحد المخابىء التى اختارها النازى وتصور أنه سينتفع بها لنفسه . اليست هذه هى نظرتك ؟

ـ نعم .. فقد اراد ان يحتفظ بالثروة المخبأة لنفسه ، لابنته ، اذا اختفى هو .. وهذا هو ما حدث .

وساد السكون الغرفة الكبيرة .. واخـــذ يذرع المكان ، فقد لفت القديس نظره الى مظهر جديد قبيح لكينيـان ، ووقف امام النافذة يتأمل اشجار النخيـــــل التى يداعب اوراقها النسيم برفق ثم قال ؟

ـ لقد دلت تحرياتنا على ان هذه الفتــــاة مواطنـة صالحة . ولو استدعيت رسميا لمـا حاولت التنصل واخفاء الحقيقة . اليس كذلك ؟

ولم يجب سيمون ، بل ظل ينتظر ، واســـتأنف ويد الحديث ..

ـ لا شىء يمكن لومها عليـه حتى الان . والمعلومات التى جمعت عنهـا تدل حسن سـلوكها ، واستقامتهـا .

ـ حسنا يا كولونيل . أترك لك تنفيذ خطتك على ان ابقى بعيدا . فقد لا تقتنع الفتاة بوجهة نظرنا والعقـــل النسائى هو اكثر تعقيدا من اشــــــد العقول الالكترونية تعقيدا . ولا تنس ان طابعه هو انعدام المنطق تماما (ثم ابتسم قبل أن يضيف) فاذا رفضت فيكى الانصات اليك .

واظهرت انها مواطنة سيئة ، فسأعود انا الى الخطة .
وعلى أى حال .. ضعها تحت الرقابة .

ولكن ممثل السفارة وجد نفسه يواجه حائطا . فقد انصتت له فيكى ، وابدت تفهمها للموقف ، واظهرت كثيرا من الاهتمام ، وبالرغم من ذلك فقد ادرك ويد منذ اللحظة الاولى انها سترفض عرضه ، وعندما انتهى من حديثه ، مدافعا عن اخلاصه وعن الواجب الذى يؤديه ، قالت له :

- اظن اننى اذكر ان والدى قد خدم الحكومة بامانة دائما ، فما الذى فعلته للعثور عليه ؟ او معرفة مصيره ؟ لا شىء .

- لقد بذلنا كل المحاولات عبثا .

- لست متأكدة من ذلك مثلك ثم .. هل فكرتم فى ابنته اليتيمة ؟

فحدق فيها ، وقد الم بها الضيق واحس بالحرج فقد كان عاجزا عن الرد على الاتهام الذى القت به الفتاة واستأنفت هى الحديث ..

- لم المس بتاتا أى امتياز فى حياتى ، ولم اعط اى تسهيلات فلماذا اقدم امتيازات خاصة لهذه الحكومة نفسها .. او للجيش ؟

نهضت واقفة ، لتنهى الحديث ، ولكنها القت سهما اخيرا بقولها ؟

- على أي حال يا كولونيل . لقد اثارتنى القصة

الغريبة التى رميت لى خطوطها الكبيرة .. فقد استهوتنى وبخاصة اننى لم أسمع مثلها من قبل . والى اللقاء يا كولونيل

واجتازت باب الصالون الصغير لفندق تاجوس ، وتركت الضابط هناك ولمح رجلا طويلا ، جامد الاسارير ، ينتظر الفتاة فى الخارج ، وانضمت اليه وسارا جنبا الى جنب ، ومن خلفها ساع .. فقد بدأ التعقب الرسمى لفيكى كينيان . ولم يكن هناك شىء هام فى الحقيقة ، فقد سارت الفتاة ورفيقها يتسكعان فى الشوارع للفرجة على الكنائس ، وزيارة المتاحف ، دون تعب او ملل .

واظهر جيجار تلطفا معها ، منتهزا كل فرصة لتسليتها . والاستحواز على اهتمامها فتجنب الحديث فى مشكلتها . وبعد جولة طويلة فى لشبونة دخلا معا الى وكالة للسياحة ، وقدم احد الموظفين مظروفا لكل منهما ، ثم خرجا وقال جيجار مبتهجا .

- اننى مسلوب العقل حقا يا فيكى .. اليست هذه الفرصة الجديدة للسفر معا من صنع القدر .. هيا نحتفل بهذه الفرصة ..

وقادها الى احد البارات وطلب كأسين من نبيذ البورتو ، وتطلعا الى الشارع ذى الطابع الخاص ، حيث تختلف الالوان والاشكال ، ورفع جيجار كأسه وتأمله ثم قال :

- معذرة ولا تظنى اننى اريد ان اتدخل فى حياتك . فقد حدثتنى عن مشكلتك وانا مدين لك على هذه الثقة .

ارجو الا تسيىء بى الظن فلست طامعـا فى دولة ولا مغامرة ٠

فحدقت فيه دون ان تتكلم ، وكان قد اظهر طوال اليوم انه رفيق لطيف المعشر ، انيس ، حتى انهـــا احست بمقاومتها تضعف وبقدر ما كانت تشك فى سيمون تمبلار ، وتحذره بقدر ما كانت تستلطف كورت ٠ وقد ادى تدخـــل انقديس وسط الليل ، وزيارة الكولونيل ويد بعد ذلك الى تقربها من جيجار ٠٠ الذى تابع حديثه :

ـ لن تكونى بحاجة الى احد فى سويسرا لتؤدى مهمتك وفقا لتخطيطك وآرائك ٠٠ فانت فتاة كبيرة ، راجحـــة العقل ، قادرة على اتخاذ قرارك بنفسك ٠٠ ومع ذلك ٠٠ وتوقفت بحركة مسرحية فأعادت هى :

ومع ذلك ؟

ـ لو شعرت بالضيق ، او بحاجة ملحة الى نصيحة او مساعدة فلا تترددى فى الاتصال بى ٠

فأتت بحركة رشيقة مليئة بالانوثة ، ووضعت يدها على زراع الرجل ثم ٠٠ قالت :

ـ شكرا يا كورت ٠٠ لقد اسرتنى بأفضالك ، ولن انسى جميلك ٠٠

وبينما كانا يتبادلان عبارات الثناء والاطـــراء ، كان موظف وكالة السياحة يدير قرص التليفون ، ودار الحديث التالى ٠

- انا فيريرو .. لقد سلمت للتو الى مس كينينـــــان تذكرة السفر على طائرة شركة الخطـــوط الاوربية رقم ٤٠٤ الى جنيف ستسافر صباح الغد .

واجاب الكولونيل ويد :

- حسنا .

- وسيسافر على نفس الطائرة مسز كورت جيجار .. وقد اشترى كل منهما تذكرته بنفسه ، ولكن يبدو عليهما تعلقهما ببعضهما، وبخاصة الرجل وأعاد فيريرو السماعة، وارتفع صدره الضيق بزفرة طويلة ، فهو يشعر بالاسف لان قسوة الزمن تجبره على اداء مثل هذه المهام ..

ثم تناول السماعة ، وادار رقم فندق تاجوس ، وطلب من العاملة الاتصال بالغرفة رقم ٣٠٤ .. ورد صوت خافت هامس :

- آلو ..
- انا فيريرو يا سيدى ، ستسافر الآنسة صباح الغـــد على طائرة شركة الخطوط الجوية الاوربية .

وكرر المعلومات التى ادلى بهـــا للكولونيل ويد .. واجاب محدثه .

- ستتسلم الشىء المتفق عليه .. وارجو ان تستعلم عن حركة المدعو مستر تمبلار .. فمن المرجح أن يسافر هــو ايضا الى جنيف .. وستتلقى شيئا آخر ..

وتنهد فيريرو مرة أخرى وهو يعيد السماعة ، فهـــو لا يفهم معنى هذه التحركات ، ولكنه سيستفيد على اى حال من تقديم هذه المعلومات ، وهذا هو المهم الان واتصـــل ببعض اصداقائه حتى يستعلم عن هذا المدعو تمبلار ٠

وهكذا حقق الرجل ذو اللحية اغراضـه وهو قابع فى الغرفة رقم ٣٠٤ فى فندق تاجوس ، وكان يتابع تحركات خصومه ويعلم بها مقدما ٠

وكذلك علم القديس تحركات فيكى وكورت من الكولونيل ويد ، واصر على ان يتحرك هو الآخر دون ان يســـلط الاضواء عليه فقال ٠

ـ حسنا ، سأسافر الى سويسرا قبل فيكى وصـــديقها كورت ٠٠ وسأنتظرهما فى جنيف ٠

وبعد لحظات كان محله محجوزا على الطائرة المسافرة فى نفس اليوم ٠٠ وما ان علم ساكن الغرفة ٣٠٤ بهـــذا حتى حجز لنفسه محلا على نفس الطائرة ٠

بالرغم من أن صوته كان خافتا ، الا انه كان امرا ، لا يقبل المناقشة ٠٠ وكانت نظراته الحبيسة خلف زجـــاج نظارته ، تتجنب اللقاءات التى قد تكشف من امـــره ٠٠ كان هذا الرجل اخطر خصوم فيكى ، اشبه بوحش يتنمر لفريسته ، يتتبعها دون ان تراه ، وقد اتخذ قراره بالسفر على نفس الطائرة مع تمبلار لظنه ان الاخير يعرف ســر الفتاة وانه يعرف دلالات تسهيل البحث وعلى ذلك حرص على تتبعه ٠٠

وفى اليوم التالى ، حلقت فى سماء لشبونة طائرة من طراز كارافيل متجهة رأسا صوب سويسرا .

وفى الكابين الفاخر المريح ، كان كورت جيجـــــار يجاورها مرة أخرى واحتلت هى - فى هذه المرة - المقعد المجاور للنافذة وانحنت تتابع ببصرها قمم الجبـال التى لفها السحاب ، وضاع صفير المحركات فى طبقات الجو العليا فلم يعد صوتها يدوى ، ولاحت الكارافيل وكأنهـــا جامدة لا تتحرك فى الفضاء السحيق ، وتردد جيجار طويلا قبل ان يوجه لجارته السؤال ، بصوت تصنع فيه الحرج :

- معذرة يا فيكى .. اكررلك مرة اخرى اننى لا اريد اقحام نفسى فى اسرارك .

وتنبهت الفتاة ، والتفتت اليه بعينيهـــا الجميلتين ، وتابع هو حديثه :

- هل من الجائز ان يكون هناك من يهتـم بالبحث عن نفس الشىء غيرك ؟ ولم تفكر الفتاة بل ســـألته بدافع غريزى :

- ولماذا هذا السؤال ؟ .. هل لاحظت شخصا غريبا ؟ او ماذا ؟ فطمأنها بقوله :

- هذا سؤال من وحى المنطق ، وهناك اســـرار تبدو مغلقـة بدون مفتـاح .. وقـد تصـل هـذه الأســـرار بطرق غامضة لاذن الاخرين فيعملون على حلها .. (وابتسم بهدوء وهو يضيف) ومن حسن الحظ انه باســـتطاعتك

شطب اسمى من قائمة المشبوهين ، فالبرغم من اننى وكيل متواضع لمصانع الســـــاعات ، الا ان ارباحى تكفينى ، ونجعلنى فى مأمن من الطمع فى ثروات الاخرين ·· وهذا ما يجعلنى أوصيك بالحذر يا فيكى · فاما انك التقيت فعلا ببعض الأشخاص ولم تطلعينى على ذلك ، واما ان ذلك سيحدث قريبا ·· وأكرر لك النصيحة بالحذر ، وتذكرى أننى على استعــداد للدخــول فى معــركة من اجــلك يا فيكى ··

فتفرست فيه وقالت :

ـ انك رجل كريم يا كورت ، والواقع ان ظنك فى محله ·· فقد سعى البعض لابتزاز سرى منى ·· فأرسلوا لى رجلا غريبا ·· مريبا ، ومنــذ أن تحديته زال عنى الخوف ، كما لو ان الخطر يزول باقترابه ، أليس ذلك تناقضا ؟

وأخفى كورت ارتجافه وتصنع الذهول وقالت بتعجب :

ـ يا الهى ش ! أتعرفين الآن شخصية ذلك الذى كان يسبب لك الرعب دون أن تريه ؟ لمــاذا لم تحدثينى عنه من قبل ؟

فابتسمت وهزت منكبيها وقالت :

ـ لا أدرى وقد اقتحموا غرفتى فى فندق تاجــوس وفتشوها ·

ـ لا شك انك قدمت شكوى ! ؟

وتقلصت حنجرة جيجار وهو يتساءل : لماذا نجزىء هذه الشيطانة الحقائق ، ولو انها أخطرت الشرطة لأدى ذلك الى مضاعفات قوية ، ولكن الاطمئنان عاوده عندما أجابته :

- كلا ، فأنا أتجنب على اى حال انتشار الخبر ، ولا تنس انه ما من أحد قد اطلع على الجانب الأساسى فى الخطاب ولن يتسنى لأحد ذلك .

- فهمت ..

- والعجيب ان السارق الذى اقتحم غرفتى ، جسر على اخفاء نواياه وعرض على مساعدته !

- هل رأيته حقا ؟ .. هل حادثته ؟

وأطربتها دهشة جيجار ، وجعلتها تشعر بقوتها ، وحتمية انتصارها فى هذه المغامرة الفريدة فى نوعها . وقالت بجذل :

- نعم .. نعم .. كان ينتظرنى فى الغرفة ، حيث دار بيننا حديث طويل ...

- كان ينبغى اخطار ادارة الفندق ، أو الشرطة ، لتعتقل هذا اللص وبذلك تتخلصين منه .

- فهتفت بضحكة طروبة وقالت :

- بل على النقيض ، كان ذلك يؤدى الى اجراء تحقيق يعطلنى وضياع وقت لا يدرى أحد مداه ولذلك كان من الأوفق أن اكتم الأمر وانتظر ..

وسأل جيجار نفسه : لا شك ان مكر هذه الفتاة يفوق طاقته ، ولعله كان من الأوفق أن أعهد بها الى بـدرو ليخيرها بين التعذيب أو الادلاء بسرها ، فلعلها كانت قد اعترفت بهذا السـر الذى يكمن الآن فى رأسها السمراء الجميلة . ولكنه احتفظ بهدوء أعصابه ، وسألها بفضول واضح :

- أتعرفين اسمه اذن ؟

- بدون شك .. أو على الأقل الاسم الذى تقدم به لى ..

وابتسمت له ، وهزت رأسها واضافت :

- كلا : يا كورت ، ليس لدى أى مبرر لاعـلان اسمه الآن .. ولو ان لى رأيا آخر بشأنه لاختلف الأمر .

وأحس جيجار بالامتعاض وأدرك ان فيكى كينيان ، الشابة تتصرف الآن بطريقة افضل بكثير عن ذى قبل .. وأضافت هى :

- ان ما تعـرضت له ، وما سأتعرض له من مخـاطر يجعلنى فى وضع المغامرة .

لذلك يجب أن افكر بعقلية المغامرة ، بكل ما تحمـله هذه الكلمة من معان ..

وانحنت عليه هامسة :

- على ان هناك ما أود ان اسر به اليك يا كورت ..

هـذا الرجل ليس بين ركاب طائرتنا ، وقد جلت بها من أولها الى آخـرها فلم أجـد اثرا له ٠ ٠ يضيع وقتـــه اذن ٠٠

وهكذا رفضت فيكى أن تبوح باسم القديس ٠٠ بدافع من الشك لم تستطع هى نفسها تحليل أساسه ٠٠ فقـد أثرت فيه شخصية القـديس ، كما أثرت فى غيرها من قبل ٠٠ واستهوتها طـلاقة لســانه ، وهدوؤه ، وشهرته العالمية ٠٠ كل هذا جعـل الفتاة تكن له تقديرا غريبا ٠٠ ولو انه عـاد الى الظهـور ، فمن يدرى ٠٠ انها قـد تعترف له بسرها ؟

الفصل العاشر

هبط سيمون فى مطار جنيف بخطى هادئة ، ملقيـا نظرة دائرية على الجبال التى تحيط بالأفق ، مجـددا ذكرياته فى المدينة الكبيرة الواقعة على بحيرة ليمان ٠

وقصد الى قاعدة المطار الكبيرة ليضيع وقته ، وهو الاصـطلاح الذى استعملتـه فيـكى عنـد حـديثها عن القديس ٠٠ والحقيقة انه كان يـريد دراســة المــكان ، واختار مركزا للمراقبة ، حيث يشاهد منه قدوم الفتاة ، ومعرفة اتجاهها ، وتعقبها اذا اقتضى الأمر ٠

وأخذ يذرع القاعة الكبيرة جيئة وذهابا ، ولفت نظره فجأة رجل بدين يشـبك على أنفه نظارة ، وله لحيـة بيضاء ٠٠ وتذكر انه رأى هذا الرجل من قبل ، ولكن أين ؟ كانت الغريزة توحى له بأن صورة هذا الرجل فى

حقل رؤيته . وتمت البلورة بسرعة ، فقد تذكر ان هذا الرجل المجهول كان بين ركاب الطائرة التى قدم بها من لشبونة ، ولكن لماذا لم يغادر المطار فى نفس الوقت مع الركاب الآخرين ؟ واشتبه سيمون فى بقاء الرجل فى المطار .

وانحنى القديس أمام واجهة لعرض الساعات الفاخرة ، وراح يراقب فى زجاج الفترينة خيال الرجل العجوز .. وحركاته .. ولكن الأخير اتجه الى باب الخروج .. وأقبلت سيارة ركبها الرجل ونشر بين يديه صحيفة ، ملقيا على المطار ، وعلى سيمون ضمنا نظرة احتقار كبيرة .

وهز القديس منكبيه ، فلعله أخطأ التقدير ، ولعل الرجل الغريب كان ينتظر بعض الأصدقاء ، ولكن تمبلار لم يدرك ان هذا الرجل قد أصدر أوامره وهو يتظاهر بالتطلع الى الصحف فى الكشك القائم داخل القاعة .. فهمس فى اذن الموظف :

- الرجل الطويل الواقف هناك .. ذو الوجه البرونزى والعيون الزرقاء ، اسمه تمبلار ..

وكان ذلك كافيا لكى يصبح سيمون موضع تعقب .. وقصد الى مكتب تأجير السيارات وقال للموظفة الشابة :

- أريد استئجار سيارة سريعة ، ذات زجاج سميك ملون ..

وتفرست الفتاة فى الرجل الطويل ذى الوجه الصريح ، والابتسامة العذبة ، وقالت له :

- بوسعك التوجه الى الجاراج ..

فقال وهو يضاعف ابتسامته الجذابة :

- مستحيل ، فأنا أريدها الآن ، وسأدفع التأمين اللازم ..

وأخرج حافظة نقوده المغرية بانتفاخها ..

وأجابته الفتاة الى طلبه فورا .. وعندما سألته عن عنوان فندقه قال :

- لم أعين بعد محل اقامتى .. وسأتصل بك تليفونيا متى وجدت غرفة لائقة .

وخرج حاملا الأوراق اللازمة فى جيبه . واصطحبته الفتاة حتى الحديقة المجاورة .. فاختار سيارة ، وانتهت العملية .

ولم يبق أمام سيمون الا انتظار قدوم الطائرة القادمة من لشبونة فى الرحلة رقم ٤٠٤ ، وكان الكولونيل قد قام برقابة سفر فيكى .. ولو أن مفاجأة قد وقعت فى اللحظة الأخيرة ، لوجد القديس رسالة تنتظره فى جنيف لاشعاره .

ووصلت طائرة الكارفيل ، وهبطت على أرض المطار .. ولم يجد تمبلار عناء فى مشاهدة الفتاة بين

الركاب الذين تدفقوا بعد اتخاذ الاجراءات اللازمة . وسار الى جانبها رجل طويل القامة ، يبدو عليه انه تاجر كبير ، أو محام ، أو احد رجال الأعمال الذين يجولون العالم من هونج كونج الى سان باولو ، ومن لوس انجلوس الى هامبورج ، وقد حمل حقيبة أوراق مثقلة .. وحدث سيمون نفسه : « يلوح لى ان الرفيق جيجار قد نصب فخه لعصفورتنا » .

وكان جيجار ينحنى على الفتاة فى هذه اللحظة ويقول لهـا :

- اننى أشعر بأننى فى بلدى هذه المرة يا فيكى .. فان لى مسكنا فى شارع « لابيه » بالقرب من مبنى عصبة الأمم .. فاذا شئت أوصلتك الى فندقك وأنا فى طريقى الى شقتى ..

وأشرقت الفتاة بابتسامتها الجذابة وقالت :

- اننى أشاركك دائما ..

وركبا تاكسيا ، وعندما اتجهت السيارة صوب المدينة ، انزوى جيجار فى ركنها ، وتنهد متحسرا .. فنظرت اليه ، وقال وهو فى حيرة :

- سيكلفنى فراقنا كثيرا ، فقد تعودت يا فيكى على وجودك بجانبى .. وعلى حديثك .. وكل ما يصدر عنك من ظروف وكياسة ..

فوضعت يدها على يده وقالت :

ـ لقد كنتلى صديقا وفيا ، وعندما وجهت الى الحديث عند اقلاعنا من نيويورك داخلنى الخوف والشك .. وأخذنى الحذر منك .. ثم فطنت بعد ذلك الى كرم أخلاقك ..

ـ انك تأسريننى أكثر مما تتصورين يا فيكى ، وبخاصة وانا اعلم الهدف الذى تسعين اليه .. فهل أسعد بلقائك بعد ذلك ؟ ان ذلك يبدو من ضروب المغالاة ، من رجل عجوز مثلى ..

ـ صه ! .. انك تكثر الكلام عن عمرك يا كورت .. ولو انك كنت من هؤلاء الشبان الفخورين بعضلاتهم لتجنبتك ..

ـ أتقبلين اذن ؟

ـ أتعنى لقائك ؟ فليكن غدا لتناول طعام الغداء معا اذا شئت ..

ولم تتم عبارتها ، بل عضت على شفتها السفلى ، وهى تلقى بنظرة على الأفق ، غير عابئة بالتطلع الى العمارات الجديدة الشاهقة القائمة على جانبى شارع سيرفيت ، ولا الجمهور الذى يعبره بهدوء . ولكنها كانت تفكر فى المغامرة الفريدة التى دفعها القدر اليها ، وكانت تجد فى الظهور بمظهر يليق بأبيها ، ولكنها كانت تعرف ان مجرد الارادة لا يكفى دائما ..

وقال جيجار بلهجة عدم الاكتراث :

ـ هل أنت ذاهبة الى موعدك ؟

فاجابت بلهجة تحمل معنيين :

- نعم موعد مع الماضى .. ماضى سحيق حيث لم يكن ينتظرنى أحد ..

ووصلت السيارة الى شارع « مون ريلان » ؟ ثم الرصيف الذى يحمل نفس الاسم .. وحبست فيكى صرخة اعجاب وهى تشاهد المنظر الرائع لبحيرة ليمان ذات المياه الزمردية اللون ، ومن حولها الزهور البديعة ، والتلال الجميلة التى تشرف عليها ، ومن خلفها سلاسل الألب .. وتمتمت الفتاة :

- يا له من منظر رائع !

- أليس كذلك ، اننى سعيد لأن بلدى يروق لك ..
وتوقف التاكسى أمام احد القصور البيضاء القائمة على الرصيف .. واقترب البواب .. وقال جيجار :

- هلمى فأنا أعرف الجميع هنا ، وأريد التأكد من راحتك ..

وتوقفت سيارة أخرى على مسافة قريبة ، وجال سيمون بنظرة حوله ، ولم ير أثرا للرجل ذى اللحية الذى لفت نظره فى المطار ، فلم يكن اذن من المشبوهين ، على الأقل انه لم يصل بعد الى مرتبة الشك ..

ونزل من السيارة متمهلا ، وبعد لحظات ، خرج كورت جيجار من فندق « يورتال » ودخل هو واستأجر غرفة ، وأخطر الوكالة التى استأجر منها السيارة حتى يتجنب تقديم شكوى ضده ، فقد كان يحرص على ألا تتدخل

الشرطة فى شئونه ، ولكنه لم يعلم ان شخصا تقدم ـ بعد انصرافه من المطار ـ الى وكالة تأجير السيارات فى المطار: وقدم بطاقته كشرطى خاص ، فسألته الفتاة :

ـ ماذا تريد يا سيدى المفتش ؟

ـ لقد استأجر مستر تمبلار سيارة منك ٠٠ فما هو عنوانه ؟

ولم تكن بحاجة الى الرجوع الى ملفاتها ٠٠ فان شخصية سيمون معروفة الى حد ان زيارته السابقة لا تنسى ، فقالت :

ـ انه فى فندق بورتال يا سيدى المفتش ٠٠

ـ وحياها الرجل ، وقصد الى كابينة تليفون قريبة وادار رقما ، ثم أجرى حديثا بدأه كالتالى :

ـ هنا ميشا ٠٠ هل الشمس ساطعة هناك ؟

ـ رائعة ٠٠ وطيور البحر جميلة ٠٠

وكانت هذه العبارة مصطلحا عليها ، وأفضى ميشا بعدها بمعلوماته :

ـ لقد استأجر تمبلار سيارة فى المطار ، وتعقب بها شخصين قدما على الطائرة التالية ، وهما فتاة سمراء ورجل ، وتتبع سيارتها ، ولم يتحدث معها ٠٠

وزمجر صوت خافت فى سماعة التليفون :

ـ هل كنت بحاجة اليك لأعرف ذلك ، لقد كلفتك بمراقبة تمبلار فقط ٠

ـ لقد نزل فى فندق بورتال ، وأظن ان الفتاة هنـاك أيضـا ٠٠

ـ حسـنا ٠٠ اسـرع الى هنـاك ٠٠ وحـافظ على الاتصال ٠٠ وحذار أن يراك أحد ٠٠ ولا تتصرف بغير اوامر ، واحذر من تمبلار فهو شديد اللؤم ٠

وهز الرجل منكبيه فليست هذه هى أول مرة يتعقب فيها انسانا ، وقد أقام الدليل على مهارته ، فمن يكون تمبلار هذا بالنسبة له ، وتوجه بدوره صوب المدينـة ، واختار له مكانا يراقب منه الفندق ٠٠

ووقفت فيكى فى غرفتها ، معتمدة على سياج شرفتها تأمل جمال الطبيعة المحيط بها ، والكبارى المقامة على نهر الرون والقوارب المصطفة على الشـاطىء وحـدثت فيكى نفسها :

ـ فيم تفكرين يا ابنتى ؟ ليست هـذه رحلة سياحيـة تقضـين فيهـا أجـازتك السـنوية ٠٠ تذكـرى انـه عليك ـ بالرغم من تصريحاتك المختلفة لهؤلاء وأولئك ٠ ان تجدى كنز أبيك ٠٠ اذا كان ما زال موجودا !!

وترددت ، اذ داخلها شعور بالقلق ، وتأنيب الضمير بالاثم عندما تذكرت سيمون عند زيارته القريبة ، ثم زيارة الكولونيل ويذ ، ولم يكن لتحذير ويد مثل التأثير الذى تركته كلمات القديس ٠٠

وحدثت نفسها : « هل يعقل ان مثل هذا الرجل القوى العنيد يتخلى عن الكفاح بمثل هذه السهولة ؟ فاننى لم أره فى الطائرة ، أو فى المطار .. انه يظن اننى ما زلت فى لشبونة ، وهذا هو السبب ..

واتخذت قرارا مفاجئا ، فارتدت تاييرا بسيطـــا ، وخففت من ماكياج وجهها ، وانتعلت حذاء بغير كعب ، وغادرت الفندق .. وشاهد خروجها رجلان كل منهمـــا يركب سيارة مختلفة وهما : سيمون ، والمدعو ميشـــا

واتجهت فيكى الى محطـة التاكسيات . واختـــارت السيارة الخامسة ، ثم أدلت الى السائق بعنوان ، وما أن انطلقت السيارة حتى تتبعها ثانية فى اعقابها ثم ثالثة ، سارت باحتياط شديد ، وكان ميشا يقودها ، وقد أطبق شفتيه على سيجارة ، محـاولا التزام الحيـاد بقـــدر المستطاع وهو يتتبع الاثنين ، وكان يدرك العملية ، فان أقل خطـأ سيكلفه غاليـا ، كما ان ثمن النصـر سـيكون مرتفعا .

ولم تنتبه فيكى لمطاردتها .. فقد استغرقت فى تفكير عميق هذه اللحظة ، كانت تستعرض ما حــدث فى فندق تاجوس عندما عادت الى غرفتها مع فريدا أوليفــروس الغاضبة ، وأقفلت الباب ، وأسدلت الستائر ، وراحت تقرأ الخطاب الطويل الذى تركه لها والدها فى احدى خزائن بنك انتيجودى سيكورانسا والذى قال فيه :

« لقد اودعت المــال فى ستة بنوك مختلفة ، بعضها فى سويسرا ، والبعض الآخر فى أمريكا الجنوبية ٠٠ حيث فتحت حسابات سرية ، وهناك خطابات تقضى بتسليم الأموال لأى شخص جاء ذكــر اســمه وتوقيعــه على تلك الخطابات ٠٠

وفطنت فيكى لميكانيكية العملية ٠٠ فقد كان هم النازى عشية الهزيمة تأمين المستقبل ٠٠ ولكن لم يكن من المعقول تعيين جورنج أو جوبلز لاستلام الأموال فيما بعد ، بل كان لا بد لمن سيبقى على قيد الحياة من النازيين من شخصية جديدة ، ولكل أن يختارها فى الوقت المناسب ٠٠ وقد أوضح المــاجور كينيان ان « الخانة المحجوزة فى الخطابات لكتابة الاسم والتوقيع لم تملأ » !

وهذا هو السر الذى أخفاه رجل المخابرات كينيــان ، والذى سعى بكل الوسائل لاطلاع ابنته عليه ٠

ووصل التاكسى الى احدى الضواحى ، وفكرت فيكى فى الاحتياطات الشــديدة التى اتخــذها النــازى ، فمن يخطر له أن تكون كنوزهم مخبأة فى المدافن الدولية ٠

ونزلت الفتاة من السيارة ، وقالت للسائق :

ـ انتظرنى ، فسأعود بعد قليل ٠٠

وسارت بين المقابر ، فى ممــرات تبــدو فيها آثــار الصيانة والرعاية ، وعلى جانبيها مقابر من كل طــراز ، ولكل الأديان ، وكانت الفقرة التى أتلفتها من الخطــاب تقول :

« اقصدى الى المدافن المخصصة للألمـان الأحرار » .

وكان تمبلار وميشا يراقبانها من بعيد .

ووصلت اخيرا الى لوحة كتب عليها بالحروف الجوتية :

« هنا ترقـد رفـات الألمـان المضطهـدين من وطنهم الأصلى ، ففضلوا الموت أحرارا » .

ووقفت طويلا تتردد فى نبش تلك القبور التى أودعها أبوها الثروة .. ثم عادت على اعقابها ..

واقترب القديس بعد انصرافها وهو يحدث نفسه :

« لا بد ان هناك سرا غامضا جعل هذه الفتاة الظريفة تهرع الى المدافن فور وصولها الى جنيف ، وتبحث بعناية بين المقابر ، وتقف طويلا أمام تلك اللوحة كما لو انها تتعبد » .

ووصل الى نفس المكان الذى توقفت أمامه فيكى . فلم يلفت نظره شىء .. وأخذ يستعرض الوقائع منذ أن قدمت فيكى الى لشبونة حيث اختفى ابوها ، ثم أسراعها الى جنيف بعد اطلاعها على الخطاب الذى أودعه أبوها باسمها فى البنك ..

الفصل الحادى عشر

بينما كان سيمون يستعرض هذه الوقائع ، ويفكر فى ذلالتها ، كانت فيكى تستعرض بدورها نفس الوقائع من زاويتها ، وهى تتجه الى وسط المدينة ٠٠ فقد تدكرت الخزانة الصغيرة فى البنك البرتغالى حيث وضع والدها الخطاب المعنون باسمها ، وفى هذه المدافن توجد خزينة لا تحتوى على رماد الموتى ، بل قد تحتوى على مجوهرات أو أى شىء آخر تركه لها ابوها ٠٠ ولكن ٠٠ كيف السبيل الى الاستيلاء عليها ، كيف تواتيها الشجاعة لكسر الزجاج المقفول على رماد الموتى ؟ بأى آلة ٠٠ وكيف ٠٠ وهل يتركها الحرس تفعل ذلك ؟ !!

كانت تلك هى المشلكة الأولى ٠٠ وتليها مشكلة فتح الزجاج ٠٠ وقد قرأت كثيرا من قبل عن نباشى القبور ، وعن انهم لا يمارسون عملهم الا خلال الليل ٠٠ ولكن الظلام لا يكفى : ٠ اذن يجب التصرف بحذر حتى لا يشعر الجيران ، حرس المدافن ٠٠ ومن أين لفتاة تعودت ـ حتى اليوم ـ على أعمال السكرتارية المتواضعة فى احد مكاتب نيويورك ، أن تواجه مثل هذه المشاكل وأن تقدر على حلها ؟

وتشعب تفكيرها ، وتذكرت ما كانت تقرأه فى القصص البوليسية خلال ذهابها وعودتها من عملها فى قطارات المترو ، ومن أن وضع لفائف من النسيج اللاصق على الزجاج المراد كسره يحول دون سقوطه وتكسره الى قطع

صغيرة كثيرة ، وبذلك تتجنب احداث صوت عال ٠٠

وقالت فيكى للسائق :

- توقف على رصيف نيرج ٠

- كما تريدين يا آنسة ، فالطقس مناسب للقيام بنزهة على الشاطىء ٠٠

ولما لم تجبه ، لم يعقب ، وأنزلها كما طلبت ، وانتظرت حتى ابتعد ، ثم دخلت الى صيدلية ، ثم خرجت بعد لحظات وهى تدس فى حقيبة يدها لفافة من النسيج اللاصق ٠٠ وألقت نظرة على اليمين ، وأخرى على اليسار ، فلم تر من ترتاب فيه ، فأسرعت بالعودة الى فندق بورتال ، وكانت تعتزم التسلل الى المدافن دون أن يلحظها أحد ، حتى اذا وصلت الى المقبرة المنشودة ، وضعت الشريط اللاصق على زجاجها ، وكسرته بحجر ٠٠ وحدثت نفسها : « كنت تريدين الحياة وسط المغامرات يا ابنتى ٠٠ وها أنت قد تحققت أمنيتك » ٠٠

واجتازت ردهة الفندق ، واخذت مفتاح غرفتها من موظف الاستقبال واتجهت الى المصعد ٠٠ وعلى مسافة قريبة جلس كورت جيجار خلف أحد العمدان الضخمة ونشر بين يديه صحيفة أخفت وجهه ، وتظاهر بالاستغراق فى القراءة عند قدوم الفتاة ، وأدرك انها قامت بجولة استطلاعية ، وانه سيستدرجها فى الحديث كعادته والمهم

الآن هو أن يسهر عليها ، ليتأكد من انه ليس هناك طرف ثالث يجول فى المنطقة ..

وكان سيمون قد اتخذ قرارا سريعا بعد زيارته للمدافن، وهو أن يسبق فيكى فى العمل ، فيفتح زجاج المقبرة ، وقد يجد كنزا ، أو مجرد رسالة ، ولكنها هامة .. وكان لا بد من استعمال آلات دقيقة ، مخبأة فى أحد جيوب حقيبته .. ولذلك عاد الى الفندق ..

وقاد سيارته بسرعة كبيرة ، وهو يتطلع حوله .. متفرسا فى وجوه المارة .. متعقبا السيارات بنظره .. وبدا له ان الخصوم لن يعقدوا العزم على استعمال وسائل جذرية مثل أولئك الذين كانوا يعترضون دائما طريق القديس . هذا الى أن جنيف وسويسرا عموما ليست مسرحا للعنف والاعتداءات التى أصبحت من تقاليد شيكاغو ولوس أنجيلوس .. فهنا ـ كما حدث سيمون نفسه ـ يسود المكر والخداع ، وعلى أن استعمل نفس السلاح ، واذا كانت صديقتنا الصغيرة فيكى لا تعلم بوجودى هنا ، الا انها يبدو أنها مصممة على الانتصار فى الجولة ، بعد أن لعبتها وحدها ولا بد انها ستعود الى المدافن هذا المساء ، ولذلك لا بد من الوصول قبلها .

وعلى مسافة خمسين مترا من سيارته ، كان الرفيق ميشا يراقب الحلبة . فرأى سيمون يوقف سيارته على مقربة من البورتال ، ثم يدخل الى الفندق ، وأسرع الى بار قريب من شارع الألب ، حيث يمكنه أن يراقب منه

الفندق ، ودخل كابينة التليفون « واتصـل برئيسه وأخبره بالتحركات التى تتبعها .. وأجاب الصوت الخافت :

ـ لا تدع تمبلار يفلت من نظرك ، فهو أكثر خطرا من الفتاة .. وسأتولى أنا امرها ..

وهم ميشا بانهاء المكالمة ، ولكن رئيسه تابع الحديث قائلا :

ـ استعد ذاكرتك .. هل توقف كل منهما فى المدافن أمام مقابر الألمـان الأحرار .. ألم يفعل شيئا ؟

ـ بتاتا ..

ـ هل فحصت انت تلك المقابر ؟

ـ كلا .. لم يتسع الوقت .. فقد حرصت على ألا يفلت منى تمبلار ، وفضلت تعقبه على تأخرى هنـاك .. وسأصطحبك الى هناك عندما تريد ..

ـ سنبحث ذلك فيما بعد ، أما الآن فأريد أن اعرف ما يفعله تمبلار دقيقة بدقيقة وانتبه الى المناورات وحركات الخداع يا ميشا ..

وأعاد الأخير السماعة وهو يتململ .. فقد كان رئيسه يرهقه ، ولم يكن هناك مكان للمراقبة الا الشارع ، ولمح مقعدا خاليا على رصيف جون ـ بلان ، فجلس عليـه وأحنى طرف قبعته فوق عينيه وراح ينتظر ..

ولكن ، كان هناك مطاردا آخر يتبع القديس ، فعندما

دخل الى الفندق أثارت قامته الطويلة ، ووجهه النشط ، اهتمام جيجار ·· وتولاه الذهول ·· فقد أدرك على الفور أن هذا الرجل هو الذى تعارك مع بدرو فى لشبونة ، وهو نفسه الذى فتش حجرة فيكى فى فندق تاجوس · وها هو يحضر فى أعقاب فيكى ·· وأحس جيجار ان عليه التحرك بسرعة دون ان يضيع لحظة واحدة ·· وتطلع ببصره من فوق الصحيفة ، فرأى سيمون يقترب من مكتب الاستقبال، ويتناول مفتاحه ويسرع الى المصعد ·

واختفى القديس ، واقترب جيجـار بدوره من مكتب الاستقبال ·· وسأل الموظف :

ـ أظن اننى أعرف هذا السائح ·· فقد كنت على موعد معه ولكنه مر سريعا بحيث لم اتمكن من ايقافه ·· من يكون ؟

ـ انه مستر سيمون تمبلار ·· وقد وصل هذا الصباح ··

فقال جيجار بلهجة يائسة :

ـ آه ·· لقد اختلط على الأمر ، فليس هو من أعنى ·· معـذرة ··

وعاد الى الزاوية التى كان يجلس فيها خلف أحـد الأعمدة ·· والتى جعل منها مركزا للمراقبة ، وأدرك خطـورة الموضوع هـذه المرة ، وضرورة اتخـاذ عـلاج حاسم ·· انه سيمون تمبلار اذن الذى جسـر على تقديم مسـاعدته لفيكى ·· وقـد رفضت الفتـاة أن تبوح باسم

زائرها الغريب .. وقد وضح كل شيء الآن أمام جيجار لأنه يعرف تماما من هو تمبلار : القديس !

القديس .. يقف فى طريقه حائلا بينه وبين الثروة .. والأمر يختلف مع القديس عن أى شخص آخر ولا تكفى معه الاجراءات التى تتخذ مع الآخرين .

ولهذا السبب لم تقل فيكى - الفتاة الغبية - باسمه تحت تأثير شخصية القديس ، وبالرغم من كل ما قالته ، لقد رفضت المساهمة التى قدمها لها ، ولكنها امتنعت عن الافضاء باسم زائرها : القديس !

وغابت الدعابة عن ذهن كورت جيجار فى هذه اللحظة .. وعبثا راح يفكر فى خطة عملية ، فالنهار يتقدم ، والوقت ينقضى ، والشمس توشك على المغيب .

وكان لا بد من التحرك قبل قدوم الليل ، كما استوحى غريزته ، وأشار الى صبى من الخدم ، وبيده ورقة مالية ، كان يضرب بها عارضة الطاولة بعدم اكتراث وساله :

- خبرنى يا غلام .. هل تعرف الكتمان ؟

- هذا يتوقف على الثمن يا سيدى ..

- مثل ذلك ؟

وبرزت الورقة المالية بين اصابعه بحيث يميز الغلام قيمتها ، ولونها ، وبرقت عيناه ، وأضاف جيجار :

- لا أريد اكثر من معرفة رقم غرفة مستر تمبلار ..

- حسنا يا سيدى .. سأخبرك بها ..

وعاد بعد برهة وبادله الورقة المالية ، بقطعة من الورق مكرمشة ، كتب عليها رقم ٦١٤ ، وخرج جيجار ، وكان الليل قد أرخى ستوره على جنيف .. وبدت البحيرة كبحر من الحبر تنعكس على صفحته أضواء الشاطىء الآخر كما انبعثت من بعيد أضواء صادرة من القوارب ..

وألقى جيجار نظرة على الجوار ، وقام بجولة قصيرة، ثم عاد الى فندق بورتال ، واتجه الى المصعد .. وأشار الى العامل :

- الطابق التاسع ..

وعندما وصل الى الطابق التاسع سار فى الممر بخطى نشيطة ، حتى اذا اختفى المصعد عاد الى أعقابه ، ونزل السلم حتى الدور السادس ، ولم يتطرق اليه الشك أن هذه المناورة ستتيح لفيكى الفرصة للخروج من الفندق دون أن يعرف وسواء أكانت هى الصدفة ، او توارد الحوادث .. فان اثرها على تدرج المغامرة كان كبيرا .

وما كادت الفتاة تغادر باب الفندق ، حتى رآها الجاسوس الجالس على مقعد فى الشارع ، وكان الظلام الذى يلف جنيف بالويته يسهل عملية التعقب . وتردد

ميشا قليلا ، فلم يكن هناك أى أثر لرئيسه فى الجـوار ؛ فاذا لم يتعقب فيكى ، فسيناله التأنيب ، فاقتفى اثرها ، ولم تذهب هى بعيدا ، اذ دخلت الى مطعم « فانشتا » فى شارع روسو ، ورآها ميشا من خلال الواجهة تجلس الى مائدة ، واقترب منها كبير الخدم ليلبى طلبها ، وارتبكت الفتاة ، فان معرفتها باللغة الفرنسية لم تكن كافية لحـل رموز قائمة الطعام .. ولحسن الحظ كان كبير الخـدم يعرف الانجليزية ، ولكن الفتاة كانت بحاجة الى شـىء اخر ، يبعث فيها الشجاعة المطلوبة ، فطلبت زجاجة من الشمبانيا ، وطبقين من الطعام ، محدثة نفسها : « تمتعى بحياتك يا ابنتى .. فانت ذاهبة الى المدافن الدولية ، كما لو كنت ذاهبة الى حفلة راقصة عند الاصدقاء .. لقـد اوصاك ابوك فى خطابك بأن تذهبى الى المقبرة وتستولى على الصندوق الذى يحمل اسم « ... » .

وتطلعت فيكى حولها ، كما لو كان هناك شخص ثالث يقرأ تفكيرها ، ويفك رموز السر الذى لا يعرفه سواها منذ أن مزقت الجانب الاساسى من الخطاب ، والذى يتلخص فى اسم واحد « ... » .

وتطلعت حولها كأنهـا تتوحش وجود احـد يقـرأ تفكيرها .. ولكن لا احـد .. لاكورت جيجار ، ولا ذلك الرجل الغريب الذى اكتشفته فى غرفتها فى لشـبونة : القديس ! ليس هناك اثر لأى جاسوس .. كان الاسـم الذى يحمله الصنـدوق هو .. ولـكن فيكى عدلت عن النطق بهذا الاسم ، حتى فى سرها ، وشـربت كأسـها

الثالث من الشمبانيا ، ونطقت بالاسم : جوزيف ماير ! هذا هو الاسم الذى يحمله الصندوق المخبأ فى المقبرة ، وقد قال ابوها انه فارغ ! اى انها ترتكب جريمة نبش القبور ، ولن يعنفها احد على تنفيذ وصية والدها ..

ولم يتردد ميشا وهو يراقب حركات فيكى ومظهرها ، فهرع الى مقهى قريب ونادى رئيسه وأوضح له الموقف الحالى .. فأجابه صاحب الصوت الخافت :

- لقد ذهبت الى المقبرة ، وفحصت الاثر التذكارى ، ولابد ان هناك دليلا ، او معلومات ، ولاشك ان الفتاة أو تمبلار ، او كلاهما سيغتنم فرصة الليل حتى يأمنا الرقابة ...

وبعد صمت قصير قال الصوت الخافت :

- لعلك تستطيع ان تفعل شيئا احسن يا رفيق ميشا .. وهو تعقب تمبلار ، فانه رجل بارع الحيلة ، ومن الافضل الا افاجأ ...

- اعتمد على ...

وخرج ميشا من المقهى ، والقى نظرة على المطعم ، وكانت الفتاة تلتهم طعامها ، وتكرع كئوس الشمبانيا بشراهة .. وأبتسم ميشا وهو يقرأ ما يدور بذهن الفتاة : فقد تولاها الخوف الشديد ، فراحت تستوحى الشجاعة من الشمبانيا حتى تستطيع مواجهة الموقف وسط المدافن !

الفصل الثانى عشر

اخرج سيمون كيسا جلديا صغيرا من حقيبتـــه ووضعه على الطاولة ، وكان يحتوى على أثنتى عشرة آلة دقيقـة سبق ان اثبتت جدارتها فى فتـــح اشـــد الاقفـــال استعصاء .. واقفـل الكيس ووضعه فى جيبـه المخصص للمسدس ، وأطفأ المصـــباح الصغير الموضوع بجـــانب سريره ، واتجه الى الباب فى اللحظة التى سمع فيها دقـا خفيفا عليه .. وتساءل سيمون :

- من بالباب ؟

- هناك رسالة للمستر تمبلار ...

وخطر له انها قد تكون برقية من الكولونيل ويد .. فما كاد القديس يستقر فى الفندق بروتال حتى بعثت اليـــه بعنوانه دون أى تفصيلات أخرى .. وفتح الباب ، وبدلا من ان يرى الخادم ، كما تصور ، رأى رجلا عملاقا يقف بالباب ، تبدو عليه مظاهر القوة ، قاسى التقـــاطيع ، شاحب النظرة بلون الصلب .. وكان فى وضع لا يمـــكن أى أحد ممن يتجازون الممر برؤية ما يمسك به فى يـــده اليمنى .. وهو مسدس كبير العيار ..

وقال القديس دون ان ببدى أى دهشة ، او ارتبـــاك :

- ادخل ياجيجار ..

وتقهقر خطوة ، ودخل الاخر ، واغلق الباب من خلفه بضربة من كعبه ، وتحسس القفل بيده اليسرى ، وادار المفتاح فى القفل .. وهم بوضعه فى جيبه ، ولكنه وقع على الارض ، ولم يفكر فى الانحناء والتقاطه حتى لا ينتهز القديس هذه الفرصة . ولبث جيجار جامدا متصلب العضلات شرير النظرة ، وكان سيمون يراقبه ، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة ابتهاج وقال :

ـ العرف هو ان تحيى بيدك مرفوعة ، وان يدوى صوتك بكلمة « هايل » !

فزمجر الزائر : تماما .. ومادمت تعرفنى ، فلن نضيع وقتنا فى الثرثرة ...

فقال سيمون دون ان يتخلى عن ابتسامته :

ـ ولكن ذلك لا يمنع من ان تشرح لى سبب وجودك هنا ؟

فأشار جيجار بذقنه الى المسدس الذى ظل شاهرا اياه :

ـ الا يكفى هذا يا تمبلار ؟

فأجاب المغامر : ـ كلا ..

وترك نفسه يرتمى على كرسى كبير وسط الغرفة ،

فقطب جيجار حاجبيه ، وزمجر : ـ قف ٠٠

فقال سيمون بتأكيد وهو يهز يده بعدم اكتراث ٠

ـ كلا ! واريد ان تقول لى اولا : ما الذى تبحث عنه فى غـرفتى ؟

ـ لا شىء ٠٠ لا شىء سوى التخلص منك ٠٠ وقـد لوحوا لك بالخطر فى لشبونه واعطيت انذارا ، ولكنك لم تكترث وعـدت تعترض طريقى ٠٠ وعلى نفسـك انت الجانى !

وتابع سيمون حديثه كأن الاخر لم يلق بتهديده :

ـ انك تبحث عن شىء ٠٠ ولكنه ليس هنا ٠٠

ـ وانت تعرف ما ابحث عنه !

وانحنى القـديس غـير عـابىء بالمسـدس المشـهر فى وجهه ، وتناول سيجارة من الطاولة المجاورة واشعلها ، ونفث دخانها فى سحابة طويلة ، وزفر باحتقار قائلا :

ـ لقد ارهقوك بلا داع ٠

فزمجر جيجار غاضبا : ـ عمن تتكلم ؟

ـ عن سادتك ، ورؤسائك من كبار رجـال الرايخ الالمانى الثالث ، فقد عهدوا اليك بمثل هـذا السر ٠٠ فلم تكن صـالحا فى سـنة ١٩٤٥ الا لكنس مـكاتب البيت الاسـود ٠٠٠

فرفع الرجل رأسه وقال :

ـ الافضل ياتمبلار ان تغير لهجتك ، مادمت تصر على معرفة السر .. الا فاعلم ان اولئك الناس المعتوهين الذين كانوا يحكمون المانيا ، وكانوا لا يفكرون الا فى النجاة بجلدهم ، وفى وسائل معيشتهم فيما بعد . قد ماتوا جميعا فى خرائب برلين ، وفى مخبأ هتلر ، او شنقا فى سجن نورمبرج .. كلهم وأنا وحدى ولا شخص آخر ، الذى أسر كينيان .

وهز القديس رأسه الذكية ، فقد بدأت الحقيقة فى الظهور وقال :

ـ انت وحدك كورت جيجار .. بوسعى ان اتصور قنوطك عندما تبينت انك لم تكن المرشح الوحيد فى القائمة .

وقال الالمانى بغضب شديد :

ـ لقد انتظرت طويلا جدا ، ولا اريد ان يسرق الاخرون ما هو ملك لى .

فقال سيمون معاتبا ـ هذا خطأ شنيع ياجيجار .. لقد نسيت فيكى كينيان ..

ولاذ الرجلان بالصمت ، وكان جيجار يتمعن النظر الى خصمه ، وقد اسند ظهره الى الباب ولاح له انه اقل خطورة مما كان يتصور .. وبوسعه ان يبيده بسهولة .

وقال القديس مبديا ملاحظة ، بصوت ينم عن عـــدم الاكتراث :

ـ لماذا انتظرت طوال هذا الوقت ؟ الم تحصـــل من كينيان على معلومات مثمرة ؟

ـ لقـد مات قبـل ان يعترف بـكل شىء ·· واكتفى بالاشارة الى ان ابنته ستصبح ثـرية عندما تبلغ ســن الرشـد ·· وهذا كل ما تركه من بيانات ··

ـ اننى ارثى لك ياجيجار ، فقد صبرت خمسة عشـر عاما ، ولا شك ان ذلك كلفك ثمنا غاليا ، اليس كذلك ؟

ـ لم يكن باستطاعتى دفع الامور الى الامام ·· فقـد كانت وصية كينيان مخبأة بعناية ·

ـ حقا ·· ومازالت فيكى تتعقبها حتى الان ·· وأنـا أيضـــا :

فقال الرجل النازى : ـ لن تبقى طويلا ياتمبـلار ·· قف ··

وكان المسدس الذى يشد عليه بقضبته يمثل تهـــديدا خطيرا ·· ويكفى ان يضغط باصبعه على زنـــاده حتى تدوى الطلقة ·· ونهض القديس ببطء وهز منكبيـه وقال متنهدا :

ـ عجيب امرك ياجيجار فأنت متعب ٠٠ وساذج مثل كل اسلافك ٠٠ وتجاهل جيجار الملاحظة وقال آمرا :

ـ تقهقر حتى النافذة ثم در نصف دورة وافتح النافذة٠

ـ رائع سأمتع بصرى بجمال الطبيعـــة قبل القفـــزة الكبيرة ولكن ٠٠

واطاع سيمون بدون تردد واخفى رعدة اعترته ، فقد اطفىء النور وقال محتجا دون ان يظهر اى ارتعاد :

ـ ماذا دهاك ياجيجار ؟ لن تصيب الهدف فى الظلام، فاحتفظ بالنور مضاءا وانا اكره الجروح القذرة ٠

وارتفع صوت الالمانى يقول ببرود وبلهجة غير انسانية
ـ وانا ، ياتمبلار ، افضل الا يرانا احد من الخـــارج فاطع بسرعة فانك تطيل المسائل ، ولم يعد لدى وقـت اضيعـــه ٠

ـ حسنا ، حسنا ، سنسدل اذن الستائر المزدوجـــة وسيتم التنفيذ فى الكتمان ٠

ـ يا الهى لقد امرتك ان تفتح النافذة ٠٠

واطاع القديس ولكنه ابدى ملحوظة اخرى :

ـ لاشك انك تتبع طرقا غريبـــة لتتجنب اكتشـــاف

امرك ..فان الحى كله سوف يسمع مدفعيتك اذا فتحت النافذة ...

وكان سيمون قد ادار ظهره الى خصمه .. وتقلصت عضلاته ، استعدادا للعمل وارتفع صوت جيجار يقول :

- ومن تحدث عن المدفعية ؟ ابعد ضلفتى النافذة بطريقة صحيحة .. وتأمل بأعجاب المنظر الطبيعى مادمت تجده جميلا .

وكان قد فطن لخطة سيمون ، وهو ان يدير ظهره فجأة خلافا لامر الالمانى الذى صاح به :

- ممنوع الالتفات الى الخلف .

- كما يروق لك فالقديس على استعداد دائم لكى يلعب ، وان يعلم ويخيل الى انك تريد اطلاعى على مواهبك كيف يمكنك التخلص ممن يضايقك ، بدون جلبة وبدون صريخ ، وبدون طلقات نارية .. هذا هو النموذج المثالى .

وبهذه الكلمات المدهشة ، انحنى فى نفس اللحظة الذى اطلق فيها جيجار النار على عنق القديس ، فتفادى الطلقة ، وتحرك الى الوراء وضرب بيده اليسرى القبضة الممسكة بالمسدس الذى سقط صوبه وامسك بيده اليمنى القبضة الاخرى التى صوبها اليه .. ولم يستغرق كل ذلك

ثانية واحدة .. وانقلب الموقف واحس جيجـــار بنفســه عاجزا عن الحركة وتألقت فى ضـــوء الليـــل الخــافت اسارير سيمون ، والابتسامة المخيفة التى تضىء وجهـــه بالفرح لحظة العراك ، والشعاع الشـــيطانى الذى يلهب عينيه الزرقاوين .. ومن خلف الالمــانى كانت النـــافذة مفتوحة تطل على الفضاء .. وقال القديس :

- يا لك من نازى قبيح ، مقبض ، الم يلقنوك بتـــاتا انـــه ليس من الشـــهامة الهجـــوم على شـــخص من الخلف ؟ صحيح هذه هى الطريقة التى كانت تتبـــع فى المـــانيا النازية ، ولكن الشـــجاعة والرجولة تقضيان بأن تضرب دائما من الامـــام فى مواجهـــة خصمك .. مثـــل ذلـــك ..

ودفعة بقوة من حنجرته بفاصل اليد ، فهوى جيجـــار فى الفضاء واصطدمت كليتاه بدرابزين الحجـــر ، وكانت الضربة من القوة بحيث لم يقو على مقاومتها فتـــأرجح الخائن ، الجاســـوس الى الخلف .. ولم يصـــدر عن حنجرته التى ضربت بشدة أى صوت .

وعاد القديس خطوة الى الخـــلف حتى لا ينجذب الى الامام ، ودندن اذ لاتفارقه سخريته قط فى هذه الدقـــائق المؤسية وقال :

- معذرة ياجيجار ، فقد كنت مضيفا سىء الادب حقا ، ولكنك اضررتنى الى ذلك .

وعاد الى الامام ، وانحنى من النافذة ، ورأى جثة جيجار ممدة على الارض والناس يتكاثرون من حولها ٠٠ وتمتم سيمون :

- كان النزول سريعا ايها الرفيق ٠٠ والان ٠٠

واغلق النافذة ، واسدل الستائر واسرع بمغادرة الغرفة فقد اوحى له تدخل جيجار بالا يتوانى لحظة واحدة عن المضى فى العمل ، وخشى ان يكون الرجل النازى قد ترك شريكا له فى الممر القائم بين الغرف ، مما يضطر سيمون الى الدخول فى معركة جديدة ٠ والتقط المفتاح، والقى نظرة طويلة على الممر ولما اطمأن الى عدم وجود احد ، انصرف بعد ان اغلق الباب ٠٠ وعندما نزل الى الدور الارضى لاحظ حركة غير عادية ،فعلق مفتاحه على الدائرة المخصصة بحركة خفيفة ، حتى لا يلحظه احد ، بحيث يصعب الجزم باللحظة التى غادر فيها الفندق ٠٠ فقد كان يتجنب اى تحقيق للبوليس يشل حركته ويعطل المهمة التى كلفه بها الكولونيل ويد ٠

وانتهز القديس فرصة تزاحم الناس ، وانشغالهم بالحادث ، واخترق نطاقهم متجها الى سيارته ، وقادها بغير سرعة ملحوظة وهو يتنفس الصعداء لتخلصه من كورت جيجار ، فلن تستعصى عليه فيكى بعد ذلك ، وستضطر الى العدول عن صمتها بعد ان تعلم بحادث جيجار ٠٠ فليست الامور بمثل السهولة التى تصورتها،

وكانت فيكى قد اتجهت الى منطقة المدافن بعد ان روت ظمأها بالشمبانيا ونزلت من التاكسى على مسافة من المدافن الدولية . وقطعت المسافة الباقية على قدميها بعد ان درست الطريق طويلا على الخريطة .

وعاودتها مخاوفها عندما اقتربت من البوابة التى كانت مغلقة بالقفل . وفكرت فى تسلق الحائط ، ولكنها وجدت بابا جانبيا صغيرا عمل من قبيل الاحتياط ، وكم كانت دهشتها عندما دفعته بيدها فانفتح ..

وتسللت الى الداخل بعد ان اغلقت الباب وسارت بين المقابر .. وكان القمر ساطعا مكتملا ،وتقدمت فيكى بقلب منقبض حتى اقتربت من الاثر التذكارى عند مقابر الالمان الاحرار ، فجمدت فى مكانها ، اذ رأت مخلوقا حيا يتنقل بين المقابر .. وادركت ان هناك من سبقها . فمن يكون؟ واخذت تستعرض الوجوه التى قابلتها واعترضت طريقها منذ سفرها من نيويورك .. من يكون ذلك المجهول الذى يحطم الزجاج الذى يحمى القوارير التى تحمل رماد الموتى ، وخيل لها انها تسمع صوت الحجر الكريم الذى يكسر الزجاج ، ولم يكن من الحكمة الصريخ وطلب النجدة .. فان ذلك قد يوقعها فى ورطة كبيرة .

وتقدمت فيكى خطوات اخرى ، فقد كانت تصر على معرفة الطريقة التى يعمل بها المجهول .. وهل سيتمكن من الاستيلاء على الصندوق المنشود .

ولاح ان الرجل وفق فى عمله ، لانه اخرج من جيبه آلة أخرى ذات مقبض ورأته فيكى ، وهى مستندة الى جدار، يطبق الالة على الزجاج حتى انتزع لوحـــة الثقيل .. فرفعه ووضعه بجانبه دون احـداث اى ضجة او صـوت يفضح وجـوده هنـاك .. ممـا يـدل على انه فنـان متخصص !

وفرغ صبر فيكى ، ولم تحتمل المشهد ، فهى تسـرق تحت بصرها هل هذه هى نهاية الحذر الشديد الذى اتبعه الماجور كينيان :

وأرادت معرفة شخصية الرجل الذى يسرقها ، وفـكرت فى هـذه الثـانية فى شـخص سـيمون ونظـراته الساحرة ، النافذة ، وابتسامته الملتهبـة ، وندمت على رفضها مساعدته عندما زارها فى غرفتهـا فى لشبونة .. كم كانت غبية لرفضها مسـاعدته وتعاونه ، ولو أنه كان الى جانبهـا فى هذه الثانيـة ، لوضـع لهـا الخطـة المناسبة .. ولابـد اذن من الكشف عن ملامح هذا الرجـل المجهول لتطارده بعد ذلك بالتعاون مع القديس .

وتقدمت فيكى خطوة الى الامام، ولم تنتبه الى موطىء قدمها ، فاصطدم حذاؤها بحجر ، وانتبه اللص عـلى التو ، ورفع رأسه وجال ببصره حوله ، ولاشك انه لمـح خيال الفتاة الرفيع على مقربة منه ، لانه هرب مسرعا الى الباب ، ولفه الظلام ..

وظلت ابنة الماجور كينيان لحظة بغير حراك، ثم غزتها موجة من الامل فقد ادخلت الرعب فى قلب عـــدوها ، واسرعت الى الاثر التذكارى ، وهى تضحك ساخرة « لقد ارتعب المجهـــول ظنا منه ان احـــدى المقابر قد انفتحت ليخرج منه شبح ٠٠ ولو كنت فى مكانه ، لفعـلت نفس الشىء » ٠

ورأت عدة صناديق قد وضعت على الارض بجـــانب المقبرة التى فتحت ٠٠ فقد كان الزائر الليلى يفتش واحدا بعد الاخر حتى قدوم فيكى ٠

وتمالكت الفتاة خوفها ، وراحت تفحص الصنـــاديق التى انتزعت من مكانها ، ولو ان اللص كان يعرف ســر كينيان لقصد الصندوق المنشود مباشرة ، وشعرت فيـكى بالفرح اذا اضاء شعاع القمر المكان فى هذه اللحظــة ٠٠ ورأت الصندوق الذى اشار اليه ابوها فى خطابه ٠ مازال فى مكانه ٠٠ نفس المكان الذى تعرفت عليه فيه خـــلال زيارتهـــا الاولى للمـــدافن ٠٠ ونهضت على اطـــراف قدميها ٠٠ وامسكت بالصنـــدوق الذى نقش عليه اســـم وتاريخين جوزيف ماير ، ١٨٨٦ ، ١٩٤٥ ٠

واحتضنته فيكى ، فلن يستطيع احد بعد الان انتزاعه منها ، ولن تكترث بما سيقوله الحرس بعد ذلك ٠٠ لم تفكر فى أى شىء الا فى الهرب من هذا المكان والخـــروج من الباب الصغير الذى دخلت منه ، والعودة الى الفندق والانفراد فى غرفتها ، وهناك فقط ستفحص محتويـــات

الصندوق .. واسرعت بالانصراف ، او انها ارادت ذلك ففى هذه الثانية طوقتها ذراعان قويتـــان من الخلف ، واطبقت يدان على وجهها ، وحاولت الصراخ ، ولكنها لم تتمكن فلن تنجو من قدرها ..

الفصل الثالث عشر

وقف سيمون امام بوابة المدافن ، يتخذ قراره ! لقـــد انتهى وقت التردد الطويل ، وحان وقت العمل السريع.. فقد اصبح للدقائق قيمة كبيرة ، وفحص قفل البوابة ، وسار بجانبها باحثا عن مدخل خفى ، وعندما اكتشـــفه وجد انه غير مغلق ، فقد انفتح الباب الصغير ، بمجـــرد دفعة بيده ، ودخل بخفة وقوس ظهره وسار بين المقابر متجها الى الاثر التذكارى الذى جذب اليه هذه الليلة عدة اشخاص يسعون جميعا الى الكشف عن الســـر ، وادرك سيمون بالغريزة قيمة كل دقيقة ، ولعن جيجـــار لانـه عطله .. وما كاد يقترب من الهدف حتى وقف جـــامد الحركة ، اذ رأى رجلا يمسك بامرأة على مقربـة منـه ، وكانت الاخيرة تتصارع على غير جدوى ، ثم اخـــذت مقاومتها تضعف بالتدريج ، فاستسلمت ، وسقطت عـــلى الارض ، وتركهـــا الرجـــل الذى قهـــرها ، دون اكتراث ، ولكنه اسرع فالتقط شيئا تبين سيمون من موقعـــه انـــه صندوق صغير وارتفع صوت من بين المقابر يصيح :

- هو .. هو ..

وذهل خصم فيكى ـ سارقها ! ـ واستدار على عقبيه ببطء باحثا عن مصدر الصوت ، ولعله كان يتوقع ان يرى شبحا يخرج من احدى المقابر ، واطبق ذراعيه على الصندوق الذى استولى عليه من الفتاة .

وعاد الصوت الغامض يصيح : هو .. هو ..

وتمتم الرجل : يا الهى .. !

فقال الشبح آمرا : دع ما ليس ملكك ..

وكشف اللص فجأة عن حركة فى الظلام ، فترك الصندوق يسقط على الارض حتى يحتفظ بحرية يديه ، واتجه الى مصدر الصوت .. وعاد الشبح يردد بصوته غير الرنان :

ـ انك الجانى على نفسك يا نابش القبور .. يا قاتل الموتى .. ستموت بضربة فى القلب ..

واخرج الرجل من جيبه مطرقة من المطاط وهجم للعراك ، فسمع الصوت يقول ايضا :

ـ اتجسر على تحدى شبح ! ستموت يا مجنون لانك لا تستطيع ان تلحق بى الاذى !

واندفع الرجل الى الامام .. ولم يتسع له الوقت ليفهم

ما يحدث ، فقد سقطت المطرقة من يده ، واحس بضربة شديدة تصيبه فى عنقه ، وسقط على الارض كالارنب ، وهمدت حركته . وخرج الشبح من الظلام الذى كان يحميه واقترب من فيكى المغمى عليها ، ووضع يده على قلب الفتاة بقلق مكتوم ، ولكن اساريره انبسطت بابتسامته ، فقد احس بالقلب ينبض بهدوء تحت صدر الفتاة الجميل وتمتم سيمون :

- لست ذكية ، ولكنك محظوظة . وقد كنت على وشك الموت بسبب العناد ، ولكنك مازلت حية ..

وداعب بيده الخد المستدير الغض ، بحنان ثم عاد الى الرجل الذى القى به على الارض ، واخرج من جيب جاكتته حافظة اوراقه ، وكان القمر يضىء المكان بأشعته الفضية ، وقرأ على بطاقة الرجل : ميشا روسبين ، ولم يكن القديس قد رآه قبل الان ، واشتعل ذهنه بالتفكير ، وترك الرجل الجامد الحركة يسقط على الارض ثانية ..

وعلى مسافة خطوتين ، ارتمى الصندوق الذى سبب الهجوم على ميشا ، وهو رسول الرجل صاحب اللحية ، والقى سيمون نظرة حوله ، وكانت السحب تتلاصق فى السماء فتختفى ضوء القمر لحظات ، ثم تكشف عنه وكانت لعبة الاختفاء والظهور هذه تخدم سيمون ، وتقيد من الابصار ..

واستولى تمبلار على الصندوق الصغير الذى يحتوى

على رماد « جوزيف ماير ـ ١٨٨٦ ـ ١٩٤٥ » والذى اثار سلسلة من الصراعات والمطاردات ، واودى بحياه البعض ، وكان الصندوق مفتوحا الى نصفه بتأثير الهزة التى اصابته عند وقوعه من يدى فيكى بعد ان هاجمها ميشا . ولم يبدأ أى اثر للرماد الذى ينطوى عليه ، ورفع سيمون الغطاء .. وفى هذه اللحظة سمع صوتا يتعجب بجانبه :

ـ اهو انت ؟!!

وادار رأسه ورأى فيكى التى كانت قد استردت وعيها ، وتولاها الذهول وهى ترى ذلك الرجل يظهر فجأة فى هذه المقبرة السويسرية .. كيف تصدق بصرها ؟!!
وقال سيمون بصوت هادىء :

ـ طاب مساؤك يا فيكى ! لا تتطلعى بنظرات ذاهلة ، فلست بالرجل الذى اساء اليك ، بغير تقدير لشخصك الظريف .

وتطلعت حولها وهى تحاول النهوض ، فرأت رجلا يرقد على الارض جامد الحركة ، فسألت :

ـ هل هو ذلك اللص ؟ .. هل قتلته ؟

ـ كلا يا مس كينيان ، فأننى لا الجأ الى القتل مادامت هناك وسائل اخرى وقتيه للتخلص من هؤلاء الدخلاء . لقد هاجمك فاكتفيت بتنويمه برهة كافية .

وكان القمر قد كشف عن جمال وجهها الذى ارتسم عليه القلق .. ثم سألها :

- هل التقيت من قبل بذلك الرجل ؟

- كلا ..

- ان اسمه ميشا راسبين طبقا للاوراق التى يحملها ، فهل سمعت هذا الاسم من قبل ؟

- اسمعى يا فتاتى العزيزة .. كان من الافضل ان تقبلى العرض الذى تقدمت به اليك فى لشبونة حتى تتجنبى المتاعب التى حدثت لك هذه الليلة ، ولابد ان صديقنا ميشا يلاحقك منذ بعض الوقت ، اذن كان ينشد هذا الصندوق الصغير وقد هديته الى المكان المنشود ، والى رماد جوزيف ماير !!

- اتعرف .. ايضا ؟

- ولكن هذا الصندوق لا يحتوى على رماد .. وليس به الا هذا ..

ولوح بخطاب فى يده ، واصرت فيكى على اسنانها ، فبأى وسيلة تستطيع الحصول على ما تعتبره ملكا لها ؟

وتنهد سيمون وقال :

- ان اسم جوزيف ماير شائع فى المانيا وهو يعادل اسم جون فى انجلترا وسميث فى واشنطن ، ودوران فى باريس .. وانا اراهنك يا فيكى ان جوزيف ماير شخصية خيالية ، ولم يكن له وجود ..

- اعطنى هذا الخطاب ..

- حقا ؟

وامسك بذراعها حتى لا تسقط ، فقد كانت ما تزال تتألم من المعركة التى خاضتها مع ميشا ، وقال لها سيمون :

- يجب ان نبارح المكان قبل ان يستعيد الرفيق ميشا صوابه ..

- والى اين نذهب ؟

- الى الفندق يا فيكى .. ولعلك تجهلين اننى من نزلائه ايضا ، فمعذرة لاننى اردت ان اكون قريبا منك ..

- والخطاب ؟

- أى خطاب .. اتعنين رماد جوزيف ماير ، سنفحصه عندما نجلس فى هدوء فى فندق بورتال حول زجاجة من الويسكى ..

وخرجا ، واتجه القديس الى سيارته ، وفتح بابهـــا وقال : اصعــدى ..

وهمت بالتقهقر ، فدفعها ، وجلس بجانبها .. وقــال لهــا فى الطريق :

ـ لقد حذرتك من ان المغــامرة ثقيلة الحمـــل على منكبيــك ..

فهمهمت قائلة : لا تكن قاسيا .

ـ استعدى لمفاجآت اخرى لا تقل عن لقائك مع ميشا راســـبين ..

ـ ماذا تعنى ؟

ـ لا شىء ، الا اننى فـــكرت فى صـــديقك كـــورت جيجار .. اليس هو صديقك الذى اوليته كل ثقتك ، فهو ليس مغامرا من نوعى ..

ـ انك لا تكف عن السخرية ، فان كورت لا يعنى شيئا بالنسبة لى . وقد التقيت به لاول مرة فى الطائرة التى اقلتنى من امريكا ، وقد اظهر كياسة معى ، واستعدادا دائما لمساعدتى دون ان مقابل ..

ـ تماما مثل الحال معى ..

فالتفتت الى هذا الرفيق الغامض وسألته :

- هل قابلتـه ؟

- نعم ‥ كان ظريفا معى كما كان يتصرف معـك ‥ تصورى انه اراد ان اقفز من نافذة غرفتى الى رصيـف مون ريلان ، اليس ذلك غريبا ٠

- أى كذبة تريد اختلاقها ‥

وتوقفت اذ ادركت عدم جدوى الاعتراض ‥

واستمر هو يواصل حديثه :

- نعم ‥ لقد رجانى صديقك العزيز بصوت ودى ان افتح النافذة وان اقفز منها ‥ أى من الطابق السادس ! وعزز طلبه بمسدس ٠ ولما لم يقدم لى باراشتا ، فقـد رفضت هذا العرض الهام ‥

- هل اراد ‥ ؟ وماذا حدث بعد ذلك ؟

- انك تتسائلين عن سر وجودى هنـا بـدلا من هـذا الرجل الطبيب كورت ؟

هل انت التى طلبت منه ان يرينى الطريق ؟

- هل قذفت بــه ؟

- أى أفكار سيئة تحملينها عنى يا حبيبتى .. لقــد اكتفيت بأن اتنازل عن دورى لهذا الرجل الطيب ، وكنت انتظر اشـارة منه لاتبعــه ، ولكنــه بقى ممــدا على الرصيف .. ولا شك انه اراد ان ينعس قليلا ، بعــد مثل ذلك المجهود الشاق .. وهذا امر طبيعى ..

- مستحيل ! اننى لا اصدقك ! لقد التقينا فى الطــائرة بمحض الصدفة دون ان يعلم شيئا عن الهدف من زيارتى للشبونة ، ولم يكن هنا من يعرف ..

- من يدرى يا فيكى .. تذكر الكولونيل ويد .

وتذكرت هى الشعور الذى الم بها قبيــل مغادرتهــا نيويورك .. ذلك الشعور بأن هناك من يقتفى اثــرها ، ويتجسس عليها .. اذن كان كورت هو الجاسوس الــذى يتعقبها ، وكان القــديس يتفرس فى وجهها ويــراقب تحركاتها متتبعا افكارها .. وقال :

- نعم يا فيكى .. وانا واثق من ان ذلك يرجــع الى عدة اعوام خلت .. فقد انتزع جيجار بعض الاعترافات من ابيــك ..

واخفت انفعالها وهى تتبين الشبكة التى احاطت بهــا فى سكون : جيجار ، ميشا راسين ، الكولونيل ويــد ، والقديس نفسه .. واخرون .. ربما !

وسألته فجـأة : - وانت ؟ لمـــاذا تعقبتنى ؟ ما هـى مصلحتك ؟ ولا تتعلل بالكولونيل ويد !

- ومع ذلك فهـــو السبب ·· ولك ان تصـــدقى مـا تشائين، فاننى سأتابع مهمتى الى النهاية ، ولا يفوتك ان جيجار كان من رجال الجستابو ·· وقد قـــام بتعذيب الماجور كينيان حتى يعرف ســره ·· ومن واجبى ان اقوم باعلام هؤلاء الذين زرعوا ثقتهم فى ··

وابتسم وهو يلفظ بالعبارة الاخيرة ، وقال مختتما :

- لا تنسى يا فيكى ، مصير والدك ··

الفصل الرابع عشر

لم يغب ما حدث فى المدافن عن انظار الرجـــل ذى اللحية ·· فقد كان مختبئا خلف احدى المقـابر ، وقد رأى رسوله ميشا وهو يسقط فاقد الوعى ، وقد اســتمع عن طريق جهازه الصغير الى العبارات التى تبادلتها الفتـاة مع القديس · وفضل الصبر على التدخل ، وكان عليه ان يعنى برسوله المغمى عليه قبـل البدء فى تنفيذ خطتـه الجــديدة ·

وتسلل حتى اللوحة التذكارية ·· وتأمل الصنـــاديق المدفونة هناك ·· والزجاج المنزوع · ثم عاد ببطء وكان

ميشا قد استرد صوابه ، واخذ يتحرك بصعوبة محـــاولا النهوض ، وعندما رأى رئيسه ، ارتعد وتمتم :

- لم يكن ذلك خطىء يا رفيق اوزادنوف .. اقســم لك .. فهذا الرجل هو الشيطان وقد تسلل خلفى دون ان اشـــعر ..

- ربما .. ولكنك شعرت بالخوف منـــه .. لانه كان يمثل الشبح ، ساخرا منك يا ميشا راسبين ..

- كلا ، كلا .. لقد قفز على ..

فزمجر اوزدانوف : - لقد رأيت كل شىء .. ورئيتـك تواجهه عند هجومه عليـك ..

- قلت لك انه شيطان ، وســأنتقم منــه عنـدما اراه ثانيـــة ..

وكان الرجل ذو اللحية يداعب عصــاه ، هذه العصـا التى لا يتركها من يده ، وكان يمسك بعقبها بيد ، ويضغط على مقبضها باليد الاخرى ، وقال :

- الحق انك نجحت فى اعمال كثيرة .. ولكننى الاحظ للاسف ان حظك كان سيئا اخيرا .. فكيف نثق فيك في المستقبـــل ؟

فتمتم الرجل الجاثى على ركبتيه : - يا رفيق ..

ولم يتم عبارته .. وانحبست الكلمات فى حشرجة ، فقد طعنه اوزدانوف فى ظهره بالخنجر الذى كان يخبئه فى عصاه ..

وظل الرجل ذو اللحية فى مكانه لحظة ، يتطلع حوله ، ليتأكد من ان احدا لم يره ، فيشهد ضده فيما بعد ، واعاد النصل الى داخل عصاته ، وانحنى على ضحيته ، وجس نبضه ، وتأكد من ان الرجل قد مات ، وابتعد القاتل بخطى سريعة ، واصبح عليه الان ان يستولى على الوثيقة التى وقعت فى يدى تمبلار ، ولم يكن هناك الا حل واحد وهو الذهاب الى فندق بورتال . ورسم لنفسه خطة تستغرق ساعة ..

وفى هذا الوقت كان فندق بورتال محاطا بالشرطة الذين راحوا يبعدون الجمهور عن مكان الحادث ووصلت سيارة اسعاف ، وتبعتها سيارة صغيرة نزل منها رجل قاسى الملامح ، ضيق العينين ، يقبض بأسنانه على غليون ، والقى نظرة شاملة على المكان .. وهمس البعض :

- هذا هو المفتش ادفال ! الرجل الذى لا يعرف المزاح !!

ووقف المفتش ادفال يستمع لتقرير ضباط البوليس :

- من المرجح ان هذا الرجل سقط من احدى الغرف ، من أى طابق ؟

ودخل المفتش الى الفندق ، وطلب خريطة للفندق من مكتب الاستعلامات وفحصها مع الضابط ، ثم قال :

- لقد سقط الرجل من احدى الغرف التى تحمل رقم ١٤ او ١٦ من احـــد الطوابق فهى التى تطـل على هـــذه المنطقة ٠ فابلغوا شــاغلى الغــرف التى تحمـــل هـــذا الرقم ان يلازموا غرفهم ، وآمل الا يطول انتظارهم ٠٠

وقال ادفال المعروف بصرامتــه :

- كان هذا الرجل يحمل أوراقا باسم كورت جيجـــار وهو سويسرى وصل من نيويورك عن طريق لشبونة ٠

ووجه السؤال الى موظف الاستقبال قائلا :

- هل هو نزيل فى هذا الفندق ؟

واسرع الموظف يبحث فى « الفيش » ، وهز رأســه بالنفى ، واعتمد ادفال على مكتب الاستقبال ، وقال وهو ينفخ الدخان من غليونه :

- اعطنى قائمة باسماء الذين يشغلون الغــرف التى تنتهى ارقامها بـــ ١٤ او ١٦ ، وابدأ من فوق ٠٠

واخذ ادفال يقرأ الاسماء التى يقدمها له الموظف اولا بأول .. وقال الموظف يشق السكون الذى خيم على الواقفين :

ـ لعله لص يا سيدى المفتش تسلل الى الفندق ، محاولا الانتقال من غرفة الى اخرى متسلقا السور الخارجى ..

ـ ولماذا لا ؟

وبدأ عليه الاهتمام فجأة .. وزمجر قائلا :

ـ هل يشغل سيمون تمبلار الغرفة رقم ٦١٤ ؟ وهو رجل طويل القامة ، ازرق العينين ، برونزى البشرة .. الم يخطر لك عند حضوره الى هنا انه يعرف باسم آخر ؟

ـ كلا يا سيدى المفتش ..

ـ شىء مؤسف ، لاننى اعرف له اسما آخر ، يعرفه ايضا كل شرطة العالم ، اذ كان هو نفس الشخص طبعا ..

ـ لعله شخص آخر .. ؟

ـ سنرى ..

- وما هو الاسم الاخر لهذا السيد تمبلار ؟

- القــديس ..

- الـ ... يا الهى !

- اتصل بالغرفة ...

وعبثا دق الجرس ، فصعد ادفـال الى الطـابق ، وصحبه مدير الفنـدق حاملا المفتـاح العمـومى لـكل الابواب، وفتح له غرفة تمبلار ، ولكن المفتش لم يجد فيها أى أثر يدل على ارتكاب جريمة .. فكل شيء مرتب ، وقطع الاثاث فى مكانها .. فنزل الى الطـابق الارضى ، بينما انهمك رجاله فى سؤال النزلاء الاخرين .. وطلب هو من موظف الاستقبال اخطاره عند قدوم تمبـلار .. فلجلج الموظف :

- واذا لم يجسر على العودة ؟! ..

- انك لا تعرفه جيدا .. فهو قد ترك حقائبه ،هذا الى ان القديس لا يهرب قط من المسئولية ..

وقبل ان تنقضى ساعة ، كان سيمون يوقف سيارته امام فندق بورتال .. وقال لحارس الباب :

ـ اوقف سيارتى فى مكان لا يعرضنى للتغريم ..

ثم اصطحب فيكى مبتسما ، فقد لاحظ سيارات الشرطة والجمهور المحتشد وخالطه الشك فيما ينتظره فى الداخل ، وقال للفتاة :

ـ اسمعى يا فيكى ، يجب ان نصارح بعضنا هذه المرة .. هل قررت العمل بصراحة فى المستقبل ؟

ـ هذا يتوقف على تصرفاتك .. فقد فاتك ان الاوراق فى جيبك فى هذه اللحظة ! وهى اوراق املكها انا ..

ـ هذه نقطة تستحق البحث .. والامر يتوقف على معرفة الملكية الحقيقية للاوراق ..

ووصلا الى ردهة الاستقبال ، ولمح سيمون حرج الموظف وهو يتطلع اليه . ولم يبد أى دهشة عندما سمع صوتا يناديه بأسمه من خلفه .. فاستدار ببطء وتفرس فى وجه الرجل الذى اخرج بطاقة من جيبه وفتحها قائلا:

ـ انا مفتش الشرطة ادفال ..

ـ لى الشرف يا سيدى المفتش .. ولم أكن أعرف بعد هذا المظهر لشرطة سويسرا ، وأشهد لهم بحسن الاستقبال ، ما داموا يقومون بزنيارتى منذ المساء الاول لوصولى الى جينيف ...

ولكن ادفال لم يكن على غرار القديس ، بل كان يقصد الى هدفه مباشرة دون تقبل المداعبة وقال له :

ـ أريد أن اوجه اليك بعض الاسئلة ...

ـ وانــــا ارحب بأسئلتك يا سيدى المفتش ... عن أى موضوع ؟

ولم يرفع المفتش بصره عنه وهو يقول :

ـ أتعرف شخصا يدعى كورت جيجار ؟

فأجاب سيمون ببرود :

ـ لم أسمع عن هذا الاسم من قبل ..

وأحس برفيقته ، فيكى ، الواقفة بجانبه ، وقد توترت مثل وتر الكمنجة ، وهو يتساءل عن موقفها ، ومظهرها فى هذه اللحظة ، وداخله السرور لمــا رآها هادئة ، ثابتة:

وقال ادفال :

ـ لقد سقط جيجار من احدى نوافذ هذا الفندق ، ومات لتوه ، اذ كسر العمود الفقرى ، وقــد بدأنا التحقيـــق ، ومن الجائز أنه سقط من نافذتك يا مستر تمبلار ....

فقال القديس مبتسما :

- فهمت ، فان اسمى يظهر فى قائمة المشبوهين كلما حدثت وفاة بغير سبب ظاهر .. لقد تعودت ذلك ...

فقال الشرطي الذى كان لا يعرف السخرية :

- أريد زيارة غرفتك ...

وصعدا سويا فى المصعد ، وسارا فى ممر الطابق السادس ، ثم اتجها الى الغرفة رقم ٦١٤ ، وكان سيمون متأكد بأن الشرطة قد زارت غرفته من قبل ، ودخلوا جماعة ، وتبعتهم فيكى ، وكان سيمون يسند ذراعها .

وجال ادفال فى الغرفة ، باحثا منقبا ، واقترب من النافذة ، ممسكا بعدسة مكبرة .. وقال سيمون :

- ألا تتفق معى يا سيدى المفتش بأنه لو كان رجلك قد قذف بنفسه من هذه النافذة ، فانه رجل موهوب حقا ، اذ لم يفته أن يغلق النافذة خلفه !

- الامر سهل جدا بالنسبة للشخص الذى كان موجودا فى الغرفة ... وأخذ المفتش يفحص زجاج النافذة بدقة ، ثم فتح النافذة ، وفحص الاحجار من الخارج ، وقال :

- لقد اعتدت يامستر تمبلار الا أهمل أية تفصيلات ..

ولذلك اود ان اتأكد من ان جسمك لا يحمل أى أثر لعراك ٠٠ وارجو الا يكون لديك مانع ؟

ونهض وهو يحـدق فى عينى سيمون ، الـذى ابتسم قائلا ؟

- أنها نتيجة مذهلة ٠٠ هل اعد ذلك اتهاما لى ؟

وساد الغرفة الصمت ، وكان ادفال يتأمل هذا الرجل الذى طاردته كل شرطة العالم ٠٠ واستأنف حديثه :

- هناك نقطـة أود ان الفت نظرك اليهـا يا مستر تمبلار ٠٠ فى أى ساعة غادرت الفندق ، فلم يرك موظف الاستقبال ، ولا البواب ، ولا أى شخص آخر ٠٠ فهل كان خروجك قبل سقوط جيجار أو بعده ؟

وهنا حدثت مفاجأة لم يكن يتوقعهـا سيمون ٠٠ فقد تقدمت فيكى وقالت :

- معذرة ياسيدى المفتش ، فباستطاعتى أن أطمئنك ٠٠ لقد خرجنا سويا : مستر تمبلار وانا ٠٠ وأؤكد لك انـه لم يكن هناك فى تلك اللحظـة ، أى اثر لرجل سـقط من النافذة ٠

وحدق الشرطى فى وجه الفتاة ، وقطب حاجبيه قائلا :

- حقا ؟ هل انت صديقة لمستر تمبلار يا آنسة ؟

فهزت رأسها دلالة على النفى وقالت :

- بتاتا ! فقد التقينا مرة واحدة فقط قبل اليوم ، فى لشبونة ، وأتيحت لنا الفرصة نتبادل الحديث ، وعرف كل منا بأن الاخر مسافر الى جنيف ، فاتفقنا على ان نلتقى . وهذا هو كل ما هنالك ...

- وهو كثير فى نظرى يا آنسة ...

فلم ترتجف ، بل على النقيض ، راحت تؤكد ما قالته :

- اننى لا اعرف ما فعلـــه مستر تمبلار فى الماضى ، ولكننى أعلم انه لا علاقة مطلقا بينه وبين هذا الشخص الذى أخبرتنا عن سقوطه من احدى نوافذ الفندق ، فقد غادرنا قبل ذلك .

فطلب منها المفتش بلهجة باردة ان تريه جواز سفرها .. وفحص الوثيقـــة وأعاده بعد ان مط شفتيه بحركة غـــير مفهومة وقال :

- شكرا .. ومعذرة يا مستر تمبلار ، فان شهادة مس

گينيان تبعد عنك الشبهات ٠٠ وأظنك توافقنى ان وجود القديس فى مكـان حدث فيـه موت مشكوك فيه يدعو الى الحيطة الشديدة ٠

- نعم ، فهذا تكريم للقديس ، ولـو أن ذلك يسبب لى بعض المضايقات فى حياتى الخاصة ٠

واصطحب المفتش حتى الباب ، وأغلقه خلفه ، وعـاد الى فيكى ، وتطلع اليها بنظرة فاحصة ، وقاومت هى هذا الفحص بكل قوتها ، وهمت بالانصراف دون ان تتكلم ، ولكنه استبقاها ، واضعا يديه على كتفيها وقال :

- هل ينبغى ان أشكرك ؟

فانفلتت منه بخشونة وقالت :

- فى عرفك أن الانسان لا يتصرف البتة الا اذا كـان هناك هدف سرى ؟

فأنبها بابتسامة هادئة :

- انك تريدين ان ازهو اكثر من اللازم فلا يخطر ببالى انك من هذا النـوع ٠٠ ان هذا الشرطى يتخيل نفسـه

شارلوك هولمز هذه المدينة السويسرية لانك وقعت فجأة فى حبى !

فهزت منكبيها وقالت :

ـ كنت اتوسم فيك الذكاء ! ألم تفكر فى أننى ارد اليك جميلا ؟

ـ حقا ؟

ـ لو انك لم تلق بجيجار من النافذة ، لالحق بى الضرر بغية الاستيلاء على المستند ..

ـ أى حرج لو اعتقلنى الشرطة ، ووجدوا معى « رماد جوزيف ماير » فان هذا كان سيؤدى الى عواقب وخيمة يا فيكى ..

ـ والان .. هل ستفى بوعدك ام لا ؟

ـ نعم ، ولا ، يا عزيزتى ..

واخرج من جيبه الخطاب الذى وجده فى صندوق الموتى .. وربت عليه وقال :

هل يحتوى على ما يكفينا .. انت وانا ؟ هذه هى كل المشكلة يا فيكى .

وفى نفس هذه اللحظة ، وصل أوزدانوف الرجل ذو اللحية الى جوار الفندق ، وكان المفتش ادفال يتناقش مع رجاله على عتبة الفندق .



الفصل الخامس عشر

قال أحد رجال الشرطة للمفتش ادفال :

ـ لا أحد مدان اذن فى هذا الحادث ؟

ولم ترق هذه السخرية للشرطى فقال بجفاء :

ـ لا أحد فعلا ، وينبغى أن لا ننسى القديس ، فهو اكثرهم شبهة فى نظرى ، ولكنه يملك دليلا على أنه كان بعيدا عن مكان الحادث وقت وقوعه ..

ـ هل هو دليل حقيقى ؟ قوى ؟

ـ كان قد خرج بصحبة فتاة أمريكية ..

ـ ولماذا لا تكون شريكة له . فالمعروف عن تمبلار تأثيره على النساء !

ـ هذا احتمال ضعيف ، فهى سكرتيرة فى احد بنوك نيويورك ، وقد وصلت الى أوروبا منذ بضعة أيام ، ومن

المستبعد ان يتمكن تمبلار من توريطها وافسادها فى بضعة أيام .. هلموا ..

وقصد ادفال الى سيارته وهو يشعر بالاستياء ، والتردد وتوقف مرة اخرى عند المكـان الذى سقط عليـه جيجـار والقى نظرة جديدة على واجهة الفندق الذى كانت تضيئه أشعة القمر ، وانوار المصابيح معا .. وزمجر قائلا :

ـ لا شك ان جيجار كان من المغامرين ، وسنرسل بصماته الى البوليس الدولى.

وانطلقت السيارة ، فى الوقت الذى دخل فيه الرجل ذو اللحية الى الفندق بخطى ثابتة ، وكان منظره يبعث على الاحترام .. واستقبله موظف الاستقبال باهتمام ، واعتمد بيديه على طاولـة الاستعلامات وألقى نظرة حوله ، ثم أخرج من جيبه بطاقة واراها الموظف الذى قـال بخـوف ظاهر :

ـ نعم يا رفيق ..

ـ أرجو أن تجيب على اسئلتى ، ثم ابعدها من ذاكرتك بعد ذلك ..

- حسنا يا رفيق ..

- ما هو رقم غرفة مستر تمبلار ؟

- لقد زارها المفتش ادفال بنفسه مرتين ..

وابتسم الرجل ذو اللحية ، وقال ملحا وهو يحدق فى الموظف :

- ما هو الرقم ؟

- ٦١٤ .. فى الطابق السادس .

- هذا ما اريده .. وتذكر ان أحدا لم يرنى هنا ..

- فهمت يا رفيق ..

واتجه أوزدانوف بخطاه الوئيدة الى المصعد ، وهو يتكىء فى كل خطوة على عصاه ذات المقبض ، التى لم يكن يشك احدا فى انها تحوى داخلها سلاحا مميتا ..

وفى الغرفة ٦١٤ جلس سيمون معتمدا برأسه الى ظهر الكرسى الكبير ، وبين يديه الورق الذى أخرجه من المظروف وقال :

- ان بين أيدينا يا فتاتى الصغيرة احدى الثروات الضخمة التى لا تتاح بتاتا لرجل أمين .

وتطلعت فيكى الى الورق بقلق ، اذ كان ادراكها للاخطار المحيطة بهذه الثروة يزداد فى كل يوم .. وتابع سيمون حديثه :

- ان كل خطاب من هذه الخطابات هو بمثابة أمر دفع ، ويساوى كل منها عشرة ملايين دولار يا عزيزتى ..

- عشرة ملايين « ولمن ؟ وكيف ؟

- ليست هناك صعوبة أو اسئلة محرجة . ويكفى أن يكتب الانسان اسمه وتوقيعه على الخطابات التى ترينها ثم يقدمها الى البنوك المرسلة اليها .. هذا هو كل شىء ..

وعلت وجه الفتاة ابتسامة هى أقرب الى العبوس وتمتمت :

- هذا ما أوضحه أبى فى خطابه .. وقد فهمت سبب عدم مقاومته للاغراء .. فتلك هى الأموال التى سرقها النازى ..

- وهل باستطاعتك اذن تأنيبى على عـــدم مقاومتى الاغراء ؟ ..

وظل ممسكا بكومة الورق ، وفيكى تتبع كل حركة يأتى بها ، وفصل هو احدى تلك الخطابات واعطى الباقى لهـا قائلا :

- ان خـــدماتى فى هذه العملية تســاوى عشـــرة ملايين .. ولا اخالك تبخلين على بهذه العمولة ؟

واحســت فيكى بقلـق متزايد ، واعتــراها دوار ، وسألته :

- باستطاعتى ان احتفظ بهذه الاموال حقا ؟

فلم يجب فأصرت على سؤالها :

- اجبنى بصراحة ..

- بصراحة ؟ نعم ، اعتقد انه باســتطاعتك .. ولكن الامر يتوقف عليك .. وتذكرى يا فيكى ان القــرار لا يتوقف على وحدى ، فلم يتدخل القديس من تلقاء نفسه فى هذه العملية ، فقد كلفت في واشنطن بالكشـف عن ســر

اختفاء الماجور كينيان ٠٠ وانا ملزم بتقـــديم تقرير عن ابحاثى ، وما وجدته فى طريقى ٠٠ ولا اعـــرف ماذا سيحدث بعد ذلك ٠ وقد تنقل واشنطن هـــذه المعلومات الى الحكومة الالمانية فيصبح من حقها المطـــالبة باعادة الثروة التى هى ملك لها ٠٠

ـ فهمت ٠٠ فهذه الاموال نهبت بواسطة النازى ٠

ـ تماما يا فيكى ٠٠ ولكن ٠٠

ولاح بريق الفرح فى عينيه وهو يضيف :

ـ تصورى اننا وجدنا اربعة خطابات اعتمـــاد بدلا من ســـتة ٠

ـ والخطابات الاخرى ؟؟

فتناول منها مجموعة الخطابات التى سلمها لها منـــذ لحظات ، واعاد اليها الخطاب السابق فقالت بتمرد : ليس لك الحق ٠

ـ الا تحزنى ولا تكونى جشعة ٠٠ فان عشرة ملايين من الدولارات مبلغ ضخم ولم تكونى تحلمين بالحصول عليـه

طيلة حياتك .. ولو امتلكت اكثر من ذلك ، لاضطررتنى الى توزيع ثروتك على الفقراء .

وسمع الاثنان دقا على الباب ، ووضـــعت فيكى يدها على ذراعه ، ولكنه ظل هادئا فقد كان يدرك ان المعركة مستمرة وان أخر فصولها قد حل .

وقال : أدخل .

ودفع الطارق الباب وظهر رجل انيق الثياب ، يضـــع منظارا على انفه ويمسك بعصا . وتنفس ســـيمون بهدوء فقد كان هذا هو الرجل الذى لا حظه فى مطار جنيف منذ البداية وسأله :

ـ لعلك أخطأت الغرفة .. ؟

ـ كلا .. هل استطيع الدخول ؟

ودخل الرجل ذو اللحية دون ان ينتظر الاجـــابة على سؤاله واخرج من جيبه بطاقة ووضعها تحت بصــر سيمون الذى قال بعد ان القى عليها نظرة .

ـ مرحبا بك يا مســـتر اوزدانوف .. اننى ســـعيد

بالتعرف على احد رجال وكالة مقاومة الجاسوسية الامريكية .

- لو انك قرأت البطاقة بدقة لوجدت اننى ايضا مندوب الخلية الشيوعية التى اشرفت على انشائها فى جنيف ، ومندوب الشرطة ، ومباحث جنيف عند اللزوم .

وتناول سيمون سيجارة واشعلها ، وتوقعت فيكى انها ستشهد معركة جديدة ولكن القديس استسلم وقال :

- هل لك ان توضح لى الموقف ؟

- لقد علم أصدقاؤنا فى الكرملين بالثروة التى من اجلها تقوم مس كينيان برحلتها .. وكان من الطبيعى ان يرغبوا فى الحصول عليها لتمويل بعض العمليات .

وانحنى امام فيكى وقال موجها الحديث اليها :

- لا أخفى عليك يا مس كينيان ان الرجل الذى قابلك فى المدافن هو عميل روسى ، وقد فشل فى مهمته .. وهذا امر مؤسف لاننى تلقيت تعليمات بالقبض عليك واصطحابك الى حيث ينتظرونك .

وحملت الفتاة يدها المضطربة الى حنجرتها ..

ووجه الرجل الحديث الى تمبلار قائلا :

ـ هذا الى ان الكولونيل ويد قد كلفنى بالسهر عليك يا مستر تمبلار .

= هذا معناه يا ابا لحية انك تلعب على حبلين امريكى وروسى ، وربما سويسرى والمانى ايضا . وما دمت قد جئت لحمايتى فباستطاعتك القول باننا رحلنا قبل قدومك .

ليس الامر بهذه السهولة فانا نفسى مراقب كما كان الرفيق ميشاولو انصرفت بدونكم لانهار هذا البناء ، عدا ما سيحدث لى ..

ـ وصمت لحظة وهو ينقل بصره بينهما ثم اضاف :

ـ يجب ان نتصرف معا وفقا للامر الذى تلقيته ، وذلك لسلامتكما وسلامتى انا ايضا .

ـ حسنا . سنطيع نصائحك .

وخرجا امامه يتبعهما أوزدانوف ... وعندما نزلا الى

الدور الارضى وادركا الباب امسك بذراع كل منهمـــا . وتطلع اليهم البواب وقال لتمبلار .

- ان سيارتك واقفة فى الناحية الاخــرى .

فقال سيمون :

- فلنركبها .

ووافق اوزدانوف ... وتردد سيمون لحظة ولكنه كان يجد كلام الرجل معقولا .. فهو يعـرف ان من طبيعـــة الكولونيل ويد الحرص وقد ارســـل من يرعـاه وقال اوزدانوف :

- تول انت قيادة الســـيارة ولتجلس مس كينينان بجانبك اما انا فسأجلس فى المؤخرة .

- والى أين ؟؟

- الى اليمين ، وساتولى ارشادك بعد ذلك .

وقال اوزدانوف :

- اسرع فى طريق لوزان .

- يا للغرابة ٠٠ انك تجلس خلفنا كمـــا لو كنـا من الأشقياء الخطرين ولا أدرى كيف سأتخلص منك يا أبا لحية

- كف عن مناداتى بهـذا الوصف ، فأنتما أسيراى ولا تفكر فى التخلص منى ٠٠ وحـــذرا ان تتوقف ٠٠ وانت يا مس كينيان ٠

وادارت فيكى رأسها وهى تتأوه فقد احســت برودة نصل من الصلب على رقبتها ، هو نصل الخنجر المحـدب وجز سيمون على اسنانه فقد خدع ٠٠ وقال اوزدانـوف :

- هل فهمت الان يا مستر تمبلار ٠٠ انه ســلاح عملى اوصيك بأستعماله فهو يختفى فى العصا ويظل دائمـا فى متناول اليد ٠

وأدركت السيارة مفترق الطرق فقال الرجل آمرا :

- تابع طريقك الى لوزان ، واتجه الى اول طريق على اليسار ٠ ولا تحاول تدبير خطة كعادتك ٠٠ فانه يصـعب على الحاق الضرر بهذه الفتاة الجميلة ٠

- اطمئن فسأقودك الى حيث تريد ولكن حذرا من رجة

السيارة فان ذبح هذه الفتاة سيثير اعصابى .

وقلل سيمون من سرعة السيارة وقال :

ـ حذرا يا ابا لحية فاننى اذكرك بثلاثة اشياء .. لقد اططحبنا عامل المصعد حتى الدور الارضى ، ورآنا موظف الاستقبال وشاهد البواب مغادرتنا سويا .. فاذا حدث لمس كينيان او انا أى سوء فستتجه الشبهات اليك اولا .

ـ اطمئن يا مستر تمبلار .. فلن يتكلم احد .

وصمت لحظة ثم قال وهو مشهر سلاحه على رقبة فيكى .

ـ اعطنى هذا الخطاب الذى كان يستحوذ على كل افكارك عندما وصلت الى الغرفة منذ قليل ..

ـ أى خطاب ؟

ـ آه .. اعلمى اذن اننى سمعت كل حديثكما ، فقد اخترعنا اجهزة حديثة للتسمع يا مس كينيان .. وقد تقدمت الجاسوسية كثيرا منذ ان غادرها ابوك العزيز ..

أضىء السيارة يا مستر تمبلار ، وأنت يا مس كينيـــــان افتحى حقيبتك واخرجى الخطاب ٠

واطاعت فيكى ، ويداها تضطربان ٠٠٠

واخذ أوزدانوف يفحص الخطاب ثم قال :

ـ شكرا يا مس كينيان ٠ وانت يا مستر ٠٠ تمبـــلار ، اعطينى الخطابات الاخرى التى كنت تتحدث عنها عندما قرعت الباب ، وجنبنى ان اسبب جـــــــرحا لهذه الفتاة الجميلة ٠

فتمتم سيمون :

ـ وهذا ما سيحدث على أى حال عندما تستحوز على ما تريد ٠

ـ كلا ٠٠ اذا التزمتما الحكمة ، فسأدعكما تعـــــودان الى المدينة ، ربما على الاقدام ، عقابا لكما على ما بذلته من جهـــد ٠

ـ وكيف نثق بكلامك ٠٠٠ لن اعطيك هذه الخطابات ،

ـ اذن ستموت مس كينيان ٠

ولمس طرف الخنجر الفتاة فاختنقت وقال أوزدانوف :

ـ يكفى ان اضغط قليلا فيدخل النصل فى البشرة .

واضاف بعنف :

ـ اعطنى الخطابات .. وانتبه الى الطريق :

واخرج سيمون الخطابات من جيبه وبحركة سريعة لم يدركها ازودانوف نقلها من يده اليمنى الى اليد اليسرى واخرج الاخيرة من نافذة السيارة المفتوحة ، وقال مبتسما وزراعه ممدودة فى الهواء :

ـ ما رأيك يا رفيق اوزدانوف لو حاولت شيئا لا يروق لى فسأفتح اصابعى .. ووداعا ايتها الخطابات .

وتحرك اوزدانوف ودخل حد النصل فى رقبة فيكى وظهرت نقطة من الدم ، وصرخت الفتاة واصر سيمون على اسنانه فقد بدأت المعركة الدموية بقسوة .

ـ ادخل زراعك بسرعة ..

ـ وانت يا ازدانوف ابعد خنجرك عن فيكى والا ارتكبت حماقة .

- وهذه حماقة اخرى ؟

ونقل الخنجر بسرعة من رقبة فيكى الى وريد سيـمون الذى تنهد قائلا :

- سينتهى بك الامر الى اثارة اعصابى يا رفيق فتفلت منى عجلة القيادة .

وقفزت السيارة فى الفضاء .. وتقلصت يد فيـكى على فمها ، واستولى عليها الرعب الشديد وامتلأ قلب سـيمون بالفرح . فقد حانت اللحظة الحرجة اخيرا كما ارادها .. بحيث لم يعد من المستطاع وقفها .



الفصل السادس عشر

ازدادت متاعب المفتش ادفال ٠٠ فقد اخطـــر بوقوع جريمة بعد الهزيمة التى لاقاها جيجار ، اذ اكتشـــف حارس المدافن جثة ترقـد فى بحر من الدماء ، وأرسلت الجثة الى الطبيب الشرعى الذى قــرر أن القتيل طعن بخنجر فى قلبه ، كما انه اصيب بضربة فى رقبته رغم عدم ظهور آثار مقاومة عملية ٠٠

ووجدث آثار حذاء نسائى ٠٠ وكان الاثر خفيفـــا ، حديثا ، كما لو ان صاحبته كانت تعدو ٠٠

وتذكر ادفال وجــه الفتــاة المليح ، التى شوهدت مع سيمون تمبلار ٠

ودلت آثار الحذاء النسائى ان صاحبتـــه قد دخلت من الباب الصغير وتوجه مفتش الشرطة على التو الى فنـــدق بورتال وطلب الاتصال بغرفتى ســـيمون وفيكى فلــم يجدهما ، واخفى عنه الموظفـــون الثـــلاثة : موظف الاستقبال ، وعامل المصعد والبواب ٠٠ رؤيتهــم للاثنين يخرجان بصحبة اوزدانوف ، خوفا على الاخير ٠ فاتصل

ادفال بوكالة تأجير السيارات فى المطار وعرف منها رقـــم السيارة التى استأجرها القديس ، واذاعها على كل مراكز البوليس وداورياته ، طالبا ايقافها واحضارها مع راكبيها، واطلاق النار على القديس لو حاول المقاومة ..

وكان القديس قود سيارته فى هذه اللحظة ، مادا يـده اليسرى بالخطابات وهو يقول لأوزدانوف ساخرا :

ـ تذكر يا اوزدانوف ان المنتصر الوحيد على الطـريق الجبلى هو السائق الذى يجلس الى عجلة القيادة ، وان الخطر الاكبر يقع على الجالس فى الخلف .

وضغط اوزدانوف بالنصل على رقبة ســيمون وقال :

ـ هدىء السرعة ..

ـ كـلا ..

ـ توقف والا ..

ـ والا ماذا ؟ .. لن اتوقف الا اذا قبلت تسـوية ؟ ما رأيك ؟

- ها انا منصت لك ..

وكان تمبلار ينهى المغامرة وفقا لخطته ، وبطريقته وقال لفيكى ، ومازالت رقبته تحت السلاح :

- انك تضايقينى يا عزيزتى هكذا .. فأجلسى على ارض السيارة ..

وانزلقت ببطء ، ورفعت رأسها تراقبه بقلق واعجاب ، وادركت فى هذه اللحظة كل ما فقدته بسبب رفضها الثقة به منذ البداية ..

وكان اوزدانوف يغلى من الغضب ، ويتردد فى اتخاذ قرار ، بينما ظل القديس امام عجلة القيادة سيد الموقف ، ونجت الفتاة من التهديد .

وقال سيمون : ها قد فقدت واحدة من صيدك يا اوزدانوف .

- تكفينى أنت .. وسأنتظر الوقت المناسب .. فحذار وهدىء السرعة .

- اذا هدأت السرعة فسيكون ذلك عند اجتيازنا قرية ،

لا توقف امام مركز للبوليس ..

- سأكون قد قتلتك قبل ذلك ..

فضحك سيمون وقال :

- لقد فاتك ان الضوء الذى ينير السيارة سيجعل الناس يرونك وانت تغرس الخنجر فى عنقى .. وسيأخذونك كالسمكة الحمراء فى حديقة الاسماك ، وبما ان زراعى ممتد فى الخارج فستسقط الخطابات على الارض .. فما فائدتك من ذلك

ومد اوزدانوف يده اليسرى وضغط على الزر الذى يتحكم فى ضوء السقف ، فتعرضت السيارة لهزة عنيفة ، وقفزت الى الامام بقوة .. وانتهز القديس هذه الفرصة فألقى . برأسه الى الخلف ، واصيب اوزدانوف بضربة عميقة فى ذقنه فسقط على المقعد الخلفى ، دون ان يتخلى عن عصاه التى تحتوى الخنجر ، وصدرت عنه حشرجة .. وضغط القديس على الفرملة واوقف السيارة على مسافة سنتيمترين من الهوة .. وقال :

- انتهى الامر يا فيكى . وباستطاعتك الخــــروج من مخبئك .

ونهضت ببطء وهى لاتصدق ما حدث ، ورتب القديس الخطابات ووضعها فى جيبه بهدوء ، وفتح باب الســيارة وخرج هو وفيكى ، وكان المكان مقفرا ، والقمر مختنقــا خلف السحب ..

وانحنى القديس وسحب اوزدانوف من قــدميه وتركه يسقط على الطريق .. ولجلجت فيكى :

- هل قتلته ؟

- الم يكن يستحق الموت ؟ اطمئنك على اى حال فانه لم يمت ، ولكنه اصيب بصدمة افقدته صوابه ..

وانحنى على جسم الرجل واخرج من جيبه الخطـــاب الذى استولى عليه من فيكى ، ثم القى بعصاه ذات الخنجر الى جانبه بعد ان مسحها بمنديله حتى لا يترك أثرا خلفه ، وعاد مع فيكى الى جنيف على ان يبلغ الشرطة من اقرب كابينة تليفون عن اوزدانوف الذى يحمل اوراقا مزيفة .

ولكن احد الشرطة المكلفين بتوقيف سيارة القديس عثر على جسد أوزدانوف ملقى بغير جريمة ، فقد كان صاحبها يتنفس تنفسا طبيعيا ‥ واتصـــل بالمفتش ادفال وقرأ له الاوراق العجيبة التى يحملها الرجل والتى تحمل اوصافا عجيبة متناقضة كما وجد بجانبه عصا مشبوهة وخنجرا ‥ فطلب منه المفتش حراسة الرجل حتى يرسل سيارة اسعاف

واضاف الشرطى بأنه لمح سيارة يشبه رقمها رقم سيارة القديس ‥ ولكنه لم يستطع التأكد منها ، لان جســـــد اوزدانوف الملقى على الارض شغله عن تعقب الســيارة ، فطلب منه الاحتراس ، وقال انه سيرسل مزيدا من السيارات لتعقبها ، وتوقيفها واعتقال ركابها ‥



الفصل السابع عشر

هدأ سيمون من سرعة السيارة وقال لفيكى :

- انظرى خلفنا ..

فأخرجت الفتاة رأسها من نافذة السيارة ، واطلعت فى الظلام وقالت :

- لا احد ، ويبدو ان شرطى المرور راكب الموتوسكل ، قد تخلى عن مطاردتنا ..

- هذا امر طبيعى لانه وجد صيدا اثمن منا .. وسيواجه اوزدانوف اسئلة عسيرة ..

وتطلع سيمون فى الفضاء ، وشرد فكره ، فسألته :

- ما الذى يشغل بالك ؟

- اريد التخلص من مطاردة ادفال ، ومضايقاته ..

وكانت السيارة قد وصلت الى مفترق الطرق ، فمال سيمون الى الناحية الاخرى فصاحت به فيكى :

- الم تقل اننا سنعود الى جنيف ؟

- ومن قال العكس ؟ .. ولكن من طبيعـــة المغامر ان يغير الخطة وفقا للظروف ، فان حياته تتوقف على ذلك ..

واقف سيارته بعد قليل ، وشرح لها خطته ، فلابــد ان مفتش الشرطة قد اخطر كل مراكز الشرطة بمطـاردته ، وان اى تحقيق جديد سيضيع عليهما الوقت ، وسـيضاعف من تعقيدات الموقف . واتقاء لذلك فسيترك ســيارته فى الطريق حتى يعثر عليها الشرطة ويعيدانهـــا الى مكتب تأجير السيارات ، ويعودان هما بطريقة أخــرى لا تلفت النظر . واوحى اليها فوقفت فى منتصف طريق الســيارات حتى اذا ما اقبلت سيارة نقل كبيرة ، او قفتها باشارة ... وترفق السائق عندما وجد فتاة جميلة تتقدم له طــالبة ان تركب معه الى جنيف ، وابرزت له ورقة نقدية ولم يــكد السائق يقبل العرض ، وركبت هى الى جانبه ، حتى ظهر سيمون ولوح بورقة نقدية اخرى .. وضحك الســـائق وقال مازحا :

- هل كنتما على موعد ..

وبعد تردد قليل ، وافق على ركوب سيمون الذى طلب انزالهما وسط المدينة ..

وسألته فيكى :

ـ الى اين ؟

ـ الى القنصلية الامريكية ، سيرا على الاقدام ، فذلك ادعى الى الحذر ..

ـ قد يعتقلوننا .

ـ كلا .. ولو تطلب الامر فسأتصل بواشنطن ولكننى اعتقد ان القنصلية على علم بموضوعنا ، وسنقضى بقية الليل فى القنصلية ، ثم نتوجه فى الصباح ، بطريقة مستترة ، الى البنك لتبدلى خطابك بالنقود ..

ـ هل تظن انهم سيسمحون لنا بذلك ؟

ـ انك تستحقين هذه العمولة يا عزيزتى على ما بذلته من جهود ..

فضغطت على ذراعه وقالت :

ـ وانت يا سيمون ؟

ـ انك تعرفين تماما أنه ليس من عادتى أن أنسى

نفسى .. ومعنا ستة خطابات اعتماد .. ولن نسلم منهـا الا اربعة فقط ..

واحست بالسعادة ، برفقة هذا الرجل الذى يعــــرف كيف ينجو دائما من اخطر المواقف .. وتمتمت :

ـ هل تظن يا سيمون ان المغامرة قد انتهت ..

وأدارت رأسها قليلا ، فلمحت باب القنصلية قـــريبا ، فقبلت القديس الذى اجاب على ســؤالها :

ـ لقد انتهت المغامرة بالنسبة لك يا فيكى ، اما بالنسبة لى فالمغامرات لا يمكن ان تنتهى ، بل هى تتعاقب واحدة بعد الاخرى ، فأنا ملك لها ، جسما وروحا !!

تمت



مجلة
الابتسامة
القديس
روايات الجيب
الثمن ١٠٠
www.ibtesamah.com/vb

Exclusive

For

www.ibtesama.com